بتوجيهات بن لادن
نواصل درب منهاتن
لنرغم أنف أمريكا
ونقطع شرها الشائن



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العـالمين، والصـلاة والسـلام على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمابعد؛

فعند الحديث عن الأحوال الـتي تمر بها الأمة في هـذه الأيـام, وما أصابها من احتلال وظلم وعدوان من القـوى الإسـرائيلية, والقـوى الأمريكيـة, وانحسـار ظل الإسـلام عن هـذه الأرض، ينبغي تلمس هدي محمد صلى الله عليه وسلم في إقامة هذا الدين, يوم أن بدأ غريباً في أول الإسلام [1].

---

[1] قال صلى الله عليه وسلم: ((إن الإسـلام بـدأ غريبا، وسـيعود غريبا كما بـــدأ، وهو يـــأرز بين المســـجدين كما تـــأرز الحية في جحرها)) [رواه مسلم].

فإن الناظر في ذلك يرى أن الرسول صلى الله عليه وسلم حرص منذ البداية عندما صدع بالدعوة أن يعرض دعوته على القبائل [2].
وإذا نظرنا في أهم العناصر الـتي كـان يـدعو القبائل إليها نجـدها واضحة جداً:

1) أنه كان يدعوهم إلى شهادة التوحيد، إلى شـهادة "أن لا إله إلا الله, وأن محمداً رسول الله [3]".

2) والبند الآخر أنه كان يدعوهم إلى الإيواء والنصرة [4].

كما ظهر ذلك جلياً في دعوته لبني عامر بن صعصـعة, فلما قـالوا له: (إلى أي شـيء تـدعو يا أخا العـرب ؟!), قـال: ((أدعـوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله, وأن تؤوني وتنصـروني)) [5].

---

[2] [?] قـال ابن إسـحاق: (... سـمعت ربيعة بن عبـاد ، يحدثه أبي، قال: إني لغلام شاب مع أبي بمـنى، ورسـول الله صـلى الله عليه وسلم يقف على منازل القبائل من العرب، فيقول: "يا بـني فلان! إني رسول الله إليكم، يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شـيئا، وأن تخلعـوا ما تعبـدون من دونه من هـذه الأنـداد، وأن تؤمنـوا بي وتصـدقوا بي وتمنعـوني، حـتى أبين عن الله ما بعثـني بـه"، قـال: وخلفه رجل أحول وضيء، له غديرتان، عليه حلة عدنية، فإذا فـرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله وما دعا إليه، قـال ذلك الرجـل: "يا بـني فلان! إن هـذا إنما يـدعوكم أن تسـلخوا اللات والعـزى من أعنـاقكم، وحلفـاءكم من الجن من بـني مالك بن أقيش، إلى ما جاء به من البدعة والضلالة، فلا تطيعوه ولا تسمعوا منـه!"، فقلت لأبي: "يا أبت! من هـذا الـذي يتبعه ويـرد عليه؟ ما يقول؟"، قـال: "هـذا عمه عبد العـزى بن عبـدالمطلب، أبو لهب") [سيرة ابن هشام: 2/48-49].

[3] [?] قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب: (ومعنى شـهادة "أن محمد رسول الله": طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، وإجتناب ما نهى عنه وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع) [الأصول الثلاثة].
وقال الحكمي: (هو التصديق الجـازم من صـميم القلب المـواطئ لقول اللسان بأن محمداً عبـده ورسـوله إلى كافة النـاس إنسـهم وجنهم {شاهداً ومبشراً ونذيرا وداعيا إلى الله وسراجا منيرا} [؟]، فيجب تصديقه في جميع ما أخبر من أنبـاء ما قد سـبق وأخبـار ما سيأتي، وفيما أحل من حلال وحرم من حـرام، والامتثـال والانقيـاد لما أمر به، والكف والانتهاء عما نهى عنه، واتباع شـريعته وإلـتزام سـنته في السر والجهـر، مع الرضا بما قضـاه والتسـليم لـه، وأن طاعته هي طاعة الله ومعصـيته هي معصـية اللـه...) [أعلام السـنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة: ص21].

[4] [?] اخطـأت بعض الأحـزاب في مفهـوم "النصـرة" فضـخمتها واعطتها اكبر من الحجم الـذي تسـتحقه، وفي كتابه "الطريق إلى إسـتئناف حيـاة إسـلامية وقيـام خلافة راشـدة"، كتب الشـيخ عبد المنعم مصـطفى حليمـة: (قـولهم؛ "لا طريق إلى الخلافة إلا عن طريق طلب النصـرة، تاسـياً بفعل النـبي صـلى الله عليه وسـلم الذي كان يطلب النصرة لدينه ونفسه من قبائل وشـيوخ العـرب"، نجمل الرد على هذه الشبهة في النقاط التالية:
أولاً؛ إن قـالوا طريق طلب النصـرة مشـروع، يجـوز للحركة الإسـلامية أن تسـلكه إن تمكنت من ذلـك، ووجـدت لـذلك سـبيلاً، فهذا قول صحيح لا غبـار عليه ولا خلاف، لكن أيضـاً هـذا الخيـار لا يبرر للأمة القعود عن الإعـداد والجهـاد في سـبيل اللـه، ولا يمنعها من ذلـك؛ فطريق الإعـداد والجهـاد، وطلب النصـرة، من ذوي الشوكة، كل ذلك يسير جنباً إلى جنب، ولا يجـوز أن يكـون السـير بأحدهما ذريعة للتنكب أو التخلف عن الآخر.
ثانياً؛ أما إن قيل طريق طلب النصـرة... هو شـرط لصـحة قيـام الخلافة! أي لا يجوز للأمة أن تسلك طريقاً آخر لنصرة هـذا الـدين وإعلاء كلمته غير طريق طلب النصرة! نقول؛ هـذا قـول باطل لم يدل عليه نص شرعي صحيح تصـريحاً ولا تلميحـاً، ما أنـزل الله به من سلطان، ولم يقل به عالم معتـبر من السـلف ولا من الخلـف،

فهنا يظهر لنا معلما واضحا, أن هذه الدعوة وهذه الكلمة العظيمة لابد لها من أرض, وهـذه الشـجرة الكريمة لابد لها من أرض تنبت فيهـا, وهي الـتي تقـوم بنصـرتها وإيوائهـا. فمن هنا اسـتمر عليه الصلاة والسلام يبحث عن هذه الأرض, وأثنـاء ذلك يقـوم بالـدعوة في مكة, فمكث ثلاث عشرة سنة.

وكل ما عنــدنا من علم هو جــزء يســير من علمه عليه الصــلاة والسـلام، وهو أفصح العـرب الـذي أوتي جوامع الكلم, وهو المؤيد بالوحي من فوق سـبع سـموات, ومع ذلك كله لم يـؤمن له سـوى بضعة عشرات من الصحابة الكرام رضي الله عنهم.
وهنا يظهر بوضــوح أيضــاً أن هــذه الكلمة رغم قوتها لابد لها من عناصر أخـرى لكي تظلل الأرض, فمكث الحـال على ذلك إلى أن يسر الله سـبحانه وتعـالى أرض المدينة المنـورة, ويسر الأنصـار -الأوس والخزرج- فلما احتضنوا الـدعوة انتشر الإسـلام, وفي خلال بضع سنوات إذا بمئات الألـوف قد دخلـوا في الإسـلام في جزيـرة العرب, ودخل الناس في دين الله أفواجا.

فهنا معلم كما ذكرت؛ أن الدعوة بغـير قـوة تبقى منحسـرة, ولابد لها من البحث عن القوة في الأرض والمصر. وهـذا المعـنى يظهر في هــذه الأيــام بوضــوح, منذ أن انحســرت الــدول الإســلامية وانحسرت دولة الخلافة وقـامت أنظمة تحكم بغـير ما أنـزل الله -وهي في الحقيقة تحارب شرع الله- برغم كثرة الجامعـات وكـثرة المــدارس وكــثرة الكتب والخطبــاء والأئمة والمسـاجد وحفظة القران, ولكن الإسلام في انحسار وللأسف الشديد؛ لأن الناس لم يسيروا حسب منهج محمد صلى الله عليه وسلم.

فـالمنهج فيما يبـدو لنا ويظهـر؛ وهو في خصـال محـددة تظهرَّ في نص آخر من نصوص الشريعة، قال سبحانه وتعالىَ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَـدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَـوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَـوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَـهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُـؤْمِنِينَ أَعِـزَّةٍ عَلَى الْكَـافِرِينَ يُجَاهِـدُونَ فِي

والــذي يــزعم غــير ذلك فليخــرج لنا دليله وبرهانــه، {قُـلْ هَـاتُوا بُرْهَـانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَـادِقِينَ} [البقــرة:111] فلو كــان طلب النصــرة شـرطا لصحة قيـام الخلافة... لجـاء ولو نص واحد من الكتـاب أو السـنة ينص على ذلـك، ولـذكره أهل العلم ولو لمـرة واحـدة في كتب الفقه والعلم، ولما انتفى كل ذلك علمنا بالضرورة أنه شـرط باطل لا يجوز القول به...
تاسعاً؛ مما يقلل من فاعلية طريق النصرة؛ هـذا النظـام الواسع لأجهــــــــزة التجسس والرصد المخابراتية التابعة للأنظمة الدولية والمحليـة، مما يجعل من المسـتحيل أو الصـعوبة بمكـان للعصـبة المؤمنة أن تســلك طريق النصــرة على الطريقة الأول، وهي أن تعرض نفسـها على الأفـراد والجماعـات - وبخاصة إن كـانت هـذه الأفراد أو الجماعات كافرة - وتطلب منهم النصرة من أجل العمل لهـذا الـدين وقيـام خلافة إسـلامية، ثم لا تُتخطف من قبل أجهـزة المخـابرات وتُغيب عن الوجـود؟! فـإذا كـانت النسـبة لهـذا الـدين وإرخاء اللحية والثوب جرم لا يغتفر عند كثـير من الأنظمة الطاغية المعاصـرة، فكيف إذا عُـرف المـرء - ولا بد له أن يُعـرف إن أراد النصـرة بمعناها وأسـلوبها الأول - بأنه يسـعى بين النـاس يطلب منهم النصـرة من أجل إقامة دولة وخلافة راشـدة؟!...) [وللاسـتزادة راجع الكتاب].

[5] [?] كـان هـذا سـنة 10 للهجـرة [الرحيق المختـوم: 115]، قـال ابن إسحاق: (وحدثني الزهري أنه - أي النبي صـلى الله عليه وسـلم - أتى بني عـامر بن صعصـعة، فـدعاهم إلى الله عز وجـل، وعـرض عليهم نفسه، فقال رجل منهم؛ "واللـه، لو أني أخـذت هـذا الفـتى من قـريش، لأكلت به العـرب"، ثم قـال؛ "أرأيت إن نحن بايعنـاك على أمرك، ثم أظهرك الله على من خالفـك، أيكـون لنا الأمر من بعـدك؟"، قـال؛ "الأمر إلى الله يضـعه حيث يشـاء"، فقـال لـه: "أفتُهدف نحورنا للعرب دونك، فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنـا! لا حاجة لنا بأمرك"، فأبوا عليه) [سيرة ابن هشام: 2/49-50].

سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [سورة المائدة : 45]، فهذا النص هو في مثل حالتنا {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ}.

عندما تحصل الردة؛ ماهي الصفات المطلوبة لإعادة الناس إلى الإسلام؟ فهنا ذكر صفات ستة؛ {يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ}، فلابد أن نتصف بهذه الصفات:

1) المحبة العظيمة لله سبحانه وتعالى.
2) والذلة على المؤمنين والتراحم.
3) والتناصح بالحسنى وبالمعروف.
4) والعزة على الكافرين.

وهذا يظهر بوضوح في أهم عروة في الإسلام وهي الولاء والبراء, نوالي المؤمنين ونعادي الكافرين ونكون عليهم أعزة [6].
5) ثم الصفة الخامسة {يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ}.
فالجهاد في سبيل الله وعدم الخوف من لومة أي لائم, هاتان الصفتان في غاية الأهمية لإعادة الناس إلى الدين.

فالذين يظنون أنهم يمكن أن يعيدوا الناس إلى الدين, وأن يقيموا دولة إسلامية بعد أن انحسر ظل الإسلام عن الأرض, فهؤلاء ما فقهوا منهج الله سبحانه وتعالى, فهذه الآية غاية في الوضوح والصراحة في حالة الردة، فلا بد من المحبة والولاء، أن يكون ظاهرًا عند الناس, والبراء من الكفار أن يكون ظاهراً، مع الجهاد في سبيل الله، {وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ} وهي تشمل النصح بكل أنواعه، والأمر بالمعروف بكل أنواعه.
فإذا قمنا بتحقيق هذه الصفات, وأوجدنا عناصر تتخلق بهذه الصفات, فنكون قد أوجدنا القاعدة القوية التي تبدأ في التغيير, وتجاهد في سبيل الله سبحانه وتعالى إلى أن يقوم الحق.

ومن النصوص أيضاً في هذا المعنى؛ عندنا الحديث عن رسولنا صلى الله عليه وسلم؛ حديث الحارث الأشعري رضي الله عنه، وهو يقول فيه : ((إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بها ويامر بني إسرائيل أن يعملوا بها، وإنه كاد أن يبطئ بها، فقال عيسى: إن الله أمرك بخمس كلمات لتعمل بها وتامر بني إسرائيل أن يعملوا بها، فإما أن تامرهم وإما أن امرهم)).

فهنا معنى عظيم جداً في هذا الدين, وهو أن الله سبحانه وتعالى حميد غني عن الجميع, وسنة الاستبدال لا تستثني أحداً، فهذا نبي من أنبياء الله تأخر قليلاً في إبلاغ ما أمر به, فأوحى الله سبحانه وتعالى إلى نبي آخر "إما أن يبلغهن أو تبلغهن"، فمن نحن حتى نتأخر عن تنفيذ أمر الله سبحانه وتعالى, وعن تنفيذ أمر رسوله صلى الله عليه وسلم فإن تأخرنا فسنة الاستبدال قائمة علينا.

فقال عيسى عليه السلام ليحيى: ((إن الله أمرك بخمس كلمات لتعمل بها وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها فإما أن تأمرهم وإما أن امرهم، فقال يحيى: أخشى إن سبقتني بها أن يخسف بي أو أعذب، فجمع الناس في بيت المقدس فامتلأ المسجد وتعدوا على الشرف فقال: إن الله أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن وامركم أن تعملوا بهن؛ أولهن أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا، وإن مثل من أشرك بالله كمثل رجل اشترى عبدا من خالص ماله بذهب أو ورق، فقال؛ هذه داري وهذا عملي فاعمل وأد إلي، فكان يعمل ويؤدي إلى غير سيده، فأيكم يرضى أن يكون عبده كذلك، وإن الله أمركم بالصلاة فإذا صليتم فلا تلتفتوا فإن الله

---

[6] [?] قال الإمام حمد بن علي بن عتيق: (فأما معاداة الكفار والمشركين؛ فاعلم أن الله سبحانه وتعالى أوجب ذلك وأكد إيجابه، وحرم موالاتهم وشدد فيها، حتى أنه ليس في كتاب الله تعالى حكم فيه من الأدلة أكثر ولا أبين من هذا الحكم! بعد وجوب التوحيد وتحريم ضده) [سبيل النجاة والفكاك من موالاة المرتدين وأهل الإشراك].

ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت، وآمركم بالصيام فإن مثل ذلك كمثل رجل في عصابة معه صرة فيها مسك فكلهم يعجب أو يعجبه ريحها، وإن ريح الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، وامركم بالصدقة فإن مثل ذلك كمثل رجل أسره العدو فأوثقوا يده إلى عنقه وقدّموه ليضربوا عنقه، فقال: أنا أفديه منكم بالقليل والكثير ففدى نفسه منهم، وآمركم أن تذكروا الله فإن مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو في أثره سراعا حتى إذا أتى على حصن حصين فأحرز نفسه منهم كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله))، ثم يعقب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول: ((وأنا امركم بخمس الله أمرني بهن السمع والطاعة والجهاد والهجرة والجماعة)) [رواه الإمام احمد والترمذي].

فالشاهد هنا أن الخمس الأول؛ وهي أركان الإسلام، لا تقوم كحكومة ولا تقوم كمنهج للبشر, إلا بالخمس الأخر. كما لا يمكن أن يكون إنسان مسلمً في ذاته وفي قلبه ولكن وهو يُحكم بالقوانين الوضعية, ولا يعم الإسلام الأرض, أمّا الإسلام الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم وأمر بإبلاغه هو؛ أن يعم الأرض ويتحاكم إليه, لا أن يبقى في الشعائر التعبدية فقط [7]، فلابد من هذه الخمس. وهذه الخمس إذا انتبهنا هي تتفق وتؤكد المعنى الذي جاء في دعوته عليه الصلاة والسلام للقبائل:

1) تشهد أن لا إله إلا الله، ومقتضيات شهادة أن لا إله إلا الله [8].
2) وأن تؤوني وأن تنصروني.

فالإيواء والنصرة هي منطبقة في هذه الخمس, فالإيواء والنصرة لا بد له من جماعة, ولا بد له من سمع وطاعة, ولابد له من جهاد, ولا بد له من هجرة، وإذا تتبعنا النصوص في كتاب الله, وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم نجد بوضوح هذه المعاني حيث ما تذهب تبرز بقوة على أن السبيل لإقامة الدولة الإسلامية ولنشر الدين لابد له:

---

[7] [?] يقول الاستاذ سيد قطب: (والذين يظنون أنفسهم في "دين الله" لأنهم يقولون بأفواههم: "نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله"، ويدينون لله فعلا في شؤون الطهارة والشعائر والزواج والطلاق والميراث، بينما هم يدينون فيما وراء هذا الركن الضيق لغير الله؛ ويخضعون لشعائر لم يأذن بها الله - وأكثرها مما يخالف مخالفة صريحة شريعة الله - ثم هم يبذلون أرواحهم وأموالهم وأعراضهم وأخلاقهم - أرادوا ام لم يريدوا - ليحققوا ما تطلبه منهم الأصنام الجديدة، فإذا تعارض دين أو خلق أو عرض مع مطالب هذه الأصنام، نبذت أوامر الله فيها ونفذت مطالب الأصنام، الذين يظنون انفسهم "مسلمين" وفي "دين الله" وهذا حالهم، عليهم أن يستفيقوا لما هم فيه من الشرك العظيم! إن دين الله ليس بهذا الهزال الذي يتصوره من يزعمون انفسهم "مسلمين" في مشارق الأرض ومغاربها! إن دين الله منهج شامل لجزئيات الحياة اليومية وتفصيلاتها، والدينونة لله وحده في كل تفصيل وكل جزئية من جزئيات الحياة اليومية وتفصيلاتها - فضلا عن أصولها وكلياتها - هي دين الله، وهي الإسلام الذي لا يقبل الله من أحد دينا سواه) [تفسير سورة إبراهيم].

[8] [?] قال عبد الرحمن بن حسن: (ولابد في شهادة لا إله إلا الله من سبعة شروط، لا تنفع قائلها إلا باجتماعها، أحدها: العلم المنافي للجهل، الثاني: اليقين المنافي للشك، الثالث: القبول المنافي للرد، الرابع: الانقياد المنافي للترك، الخامس: الإخلاص المنافي للشرك، السادس: الصدق المنافي للذكب، السابع: المحبة المنافية لضدها)، وقال: (فلا بد في الشهادتين من العلم واليقين والعمل بمدلولها... أما النطق بها من غير معرفة لمعناها ولا يقين ولا عمل بما تقتضيه؛ من البراءة من الشرك وإخلاص القول والعمل - قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح - فغير نافع بالاجماع) [فتح المجيد 46 و49].

1) من جماعة.
2) وسمع وطاعة.
3) وهجرة وجهاد.

فالذين يريدون أن يقيموا للإسلام شأناً بدون تضحيات الهجرة, وبدون تضحيات الجهاد في سبيل الله, فهؤلاء لم يفقهوا منهج محمد صلى الله عليه وسلم وإن فقهوه ولم يعملوا به واشتغلوا بغيره من الطاعات فهؤلاء يتهربون من تبعات هذه العبادات الثقيلة, فإن الجهاد كُرهٌ كما نص على ذلك الله سبحانه وتعالى في كتابه. فيتضح مما مضى اهمية الجماعة والجهاد.

ونحن في وضع لم يعد لدينا دولة لنهاجر إليها؛ وقد كانت هذه الفرصة متاحة، وكانت فرصة نادرة، فمنذ أن سقطت الخلافة حرص الصليبيون على أن لايُمكِّن أهل الإسلام الصادقون لإقامة دولة, وقدر الله سبحانه وتعالى أن جاءت الأحداث في أفغانستان وهزم الاتحاد السوفيتي, وتنازل الصليبيون عن ذلك الحرص والاهتمام في ظل خوفهم ورعبهم من الاتحاد السوفيتي, فلم يكن هناك بد من دفع الاتحاد السوفيتي إلا بكل شيء, ولو كان بالمجاهدين, ولو كان بالأصوليين, ولو كان بشباب الإسلام المجاهد, ففتح ذلك الباب, ومضى بضع عشرة سنة.
ولكن للأسف الشديد لم تنهض الأمة بواجبها المطلوب, وخاصة العلماء والدعاة والخطباء والجماعات الإسلامية, وإنما الذين جاءوا إلى أرض الجهاد لنصرة المجاهدين هم نفر بسيط من عامة الشباب من شباب الأمة، مع ماقدمه بعض التجار بعضاً من أموالهم، ولكن لم تكن كافية لإقامة دولة قوية.
وكانت الفرصة جيدة جداً لإقامة دولة قوية بعيداً عن التعصبات القطرية والقبلية، وكان إخواننا الأفغان في وضع وفي انشراح وتعاون غير عادي, كان الوضع يسمح بقوة أن تقوم دولة إسلامية بإعتبارات إسلامية, لا باعتبارات قطرية وقومية, فللأسف الشديد بالرغم من الارتياح الشديد والمناداة وتكرار ذلك والحث والتحريض، وخاصة من الشيخ عبد الله عزام عليه رحمة الله [9]

---

[9] الشهيد عبد الله عزام؛ ولد رحمه الله في جنين عام 1360هـ، انهى دراسته الإبتدائية والثانوية في قريته، ثم واصل تعليمه بكلية "خضورية الزراعية"، ونال منها الدبلوم بدرجة "إمتياز"، ثم عمل في سلك التعليم، وواصل طلبه للعلم الشرعي حتى انتسب إلى كلية الشريعة في جامعة دمشق، ونال منها شهادة الليسانس في الشريعة بتقدير "جيد جدا" عام 1386هـ، وبعد سقوط الضفة الغربية عام 1387هـ عاد إلى فلسطين ليؤدي فريضة الإعداد والجهاد فشارك في العديد من المعارك، ثم انتسب إلى الازهر فحصل على شهادة الماجستير في أصول الفقه عام 1389هـ بتقدير "جيد جدا "، وعاد سنة 1390هـ إلى الاردن ليعمل مدرسا في كلية الشريعة بعمان، وبعث من قبل الكلية إلى الأزهر للحصول على شهادة الدكتوراه في أصول الفقه، حيث حصل عليها سنة 1393هـ، وفي عام 1400هـ صدر قرار الحاكم العسكري الاردني بفصله من عمله في الكلية، فانتقل إلى الجزيرة العربية للتدريس في جامعة "الملك عبد العزيز" بجدة. اعير سنة 1401هـ إلى الجامعة الإسلامية الدولية بإسلام اباد للتدريس حسب طلبه ليكون قريبا من الجهاد الأفغاني، بعد انتهاء مدة الاعارة رفضت جامعة "الملك عبدالعزيز " تجديد العقد، فقدم الشيخ استقالته وتعاقد مع الرابطة عام 1406هـ. بدأ الشيخ رحمه الله في العمل الجهادي مع المجاهدين الأفغان عام 1402هـ، وقد قام عام 1404هـ بتأسيس "مكتب الخدمات"، ثم قد قدم استقالته من الجامعة الاسلامية بإسلام آباد، وتفرغ للعمل الجهادي وتحريض الامة، وفي 24/ربيع الآخر/ 1410هـ وبينما كان الشيخ في طريقه إلى مسجد "سبع الليل" في بيشاور لإلقاء خطبة الجمعة مرت سيارته من فوق لغم كان قد زرعته أيدي الكفر العالمي، فقتل شهيدا - نحسبه كذلك والله حسيبه - ظن أعداء الله انهم بقتل الشيخ –رحمه الله – سيخنقون الصوت الذي كان يقض مضاجعهم ومضاجع عملائهم، ولكن هيهات هيهات .. فقد استيقظ المارد وخرج من قمقمه .. ورحم الله سيدا

ومن غيره من الإخوة للجماعات وللعلماء وللمفكرين؛ أن اغتنموا هذه الفرصة! ولكن لا حياة لمن تنادي، شُغلَ الناس وسُحبوا باعتبارات أرضية, وباعتبارات قطرية, وكلٌ يريد أن يقيم هو شخصياً دولة الإسلام, وكل جماعة تريد أن تقوم الدولة الإسلامية في أرضها حيث ولدوا، وكأننا أصبحنا أسرى لهذه الأفكار، فمكثت هذه الفرصة بضع عشرة سنة ولم يتحرك الناس للاستفادة منها، وأذكر ذلك لأقول إن الأمر ليس سهلاً, الآن أصبحت الظروف أصعب.

ثم يسر الله سبحانه بين ذلك وهذا أن قامت دولة الطلبة وإقامة طالبان, وهذا الصراع الذي حصل بين الأفغان، ومكثوا ست سنوات تقريباً أو أكثر, وأيضاً بقي الناس أسرى لأهوائهم وأسرى للإعلام العالمي الذي شن حملة لا هوادة فيها ضد الطالبان وشوهوا سمعتهم، والإعلام العالمي قد يلام في تأثيره أو قد يُحمَّل بعض التأثير على العوام, أما من غير المقبول أن يكون الدعاة والذين تصدروا لنصرة الدين أمام الناس من غير المقبول أن يقولوا تأثرنا بالإعلام العالمي, أفغانستان على بعد بضع ساعات من جزيرة العرب مثلاً, أو من أي مكان من أقطار العالم الإسلامي.
فهذا التأخر عن نصرة هذه الدولة رغم أن اسمها دولة الطالبان؛ دولة طلبة العلم، هو مؤشر على وجود خلل غير عادي إما في فقههم أو في صدقهم - ولا حول ولا قوة إلا بالله - فيما يظهر لنا والله أعلم, فذهبت هذه الدولة وهم لم يحركوا ساكناً.

وأقول؛ إنني على يقين بفضل الله سبحانه وتعالى أن في الأمة من الطاقات ما يكفي لإقامة الدولة الإسلامية, وإقامة الخلافة الإسلامية، ولكن نحن بحاجة إلى إبلاغ هذه الطاقات؛ أن هذا الأمر واجب عليهم. ونحن بحاجة إلى إبلاغ الطاقات الأخرى المقيدة لهذه الطاقات؛ أنكم تأثمون بتقييد هذه الطاقات. فإذا فقه الشباب وفقه التجار واجبهم فيمكن أن نقوم بالمهمة, فيُرفع الإثم عن باقي الأمة, وأيضاً يرفع الضنك والأذى الذي يصيبنا.

فنحن نريد الناس الذين - كما لايخفى – يقولون؛ أن الجهاد لا يحتاج إلى جميع الأمة, وهذه كلمة حق, ولكن لم يرد بها الحق, فالجهاد لا يمكن أن يستوعب جميع الأمة اليوم، ودفع العدو الصائل يندفع بجزء يسير جداً من الأمة، هذا حق, ولكن يبقى الحكم أنه فرض عين, وهم يخالفوننا في إطلاق هذا الحكم, يقولون؛ نحن وصّلنا لكم بضعة الآف لا تستطيعون أن تستوعبوهم! ويقولون؛ ليس من المعقول أن نترك كل الثغرات وكلنا نذهب للجهاد! فمن هنا يظهر بوضوح لوثة العصر, وهي اللوثة المادية, لوثة بروز العقل, فهذه أحكام أجمع عليها الفقهاء من سلف الأمة رحمهم الله [10]، واليوم يخرج علينا فقهاء يعترضون على إجماع الأمة, إذا تعين الجهاد [11] فهو أولى

إذ يقول: (إنّ كلماتنا ستبقى ميتة أعراسا من الشموع لا حراك فيها جامدة، حتى إذا متنا من أجلها إنتفضت حية و عاشت بين الأحياء)، فها هم شباب الجهاد اليوم ؛ ذلك الشباب الطاهر المتوضئ يذيقون أمريكا وحلفاءها وعملاءها في مشارق الأرض ومغاربها من ذات الكأس التي أذاقت غيرها منه لسنوات طويلة، والقادم أدهى وأمر بإذن الله. رحم الله الشيخ عبد الله عزام وجزاه الله عن الإسلام وأهله خير الجزاء.

[10] [?] قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (فأما إذا هجم العدو فلا يبقى للخلاف وجه، فإن دفع ضررهم عن الدين والنفس والحرمة واجب إجماعا) [الفتاوى الكبرى 4/607، للاستزادة راجع كتاب الشيخ عبد الله عزام رحمه الله "الدفاع عن أراضي المسلمين أهم فروض الأعيان"].

[11] [?] قال ابن قدامة: (ويتعين الجهاد في ثلاثة مواضع:
أحدها؛ إذا التقى الزحفان وتقابل الصّفان حَرُمَ على من حضر الانصراف وتعيّن عليه المقام لقول الله تعالى {يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا - إلى قوله - واصبروا إن الله مع الصابرين} [الأنفال: 45-46]، وقوله تعالى {يا أيها الذين

الأولويـات بـدون شك كما ذكر شـيخ الإسـلام [12], فـدفع العـدو الصائل الذي يفسد الـدين والـدنيا لا شـيء أوجب بعد الإيمـان من دفعه.
فليس هنـاك وجه في أن تقـول؛ إذا ذهبـوا جميعهم لم يسـتوعبهم الجهـاد!, هـذا نـاتج عن خلل غـير عـادي في الفقـه, وهو نـاتج عن ركون إلى الدنيا غير عادي, فالأمر إذا تعين, مجرد أن يـأتي العـدد الذي يكفي لدفع العدو الصائل يصبح تلقائياً الجهـاد فـرض كفايـة, فيبقى الباقون الـذين تـأخروا في ثغـورهم وتنـدفع الضـرورة بهـذا التحرك.

فهـذا للأسف من أكـبر العوامل المثبطة عند الصـحوة الإسـلامية، وهو يظهر في كتاباتهم وفي رسائلهم وفي لقاءاتهم.

ويقولون؛ إن الجهاد عبادة عظيمة, ولكن هناك عبادات أخرى!.
هؤلاء ما فقهوا منهج محمد صلى الله عليه وسـلم وقد ذكـرت في قصة كعب بن مالك رضي الله عنه تلك الدروس وتلك العـبر. وأن كعباً رضي الله عنه عندما جلس وقعد في المدينة كان يقوم بكثير من الطاعـات وهو في مدينة رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم وفي الحـديث عن نبينا عليه السـلام أن طلب العلم في مسـجده عليه الصلاة والسلام كالجهـاد في سـبيل الله [13]، ومع ذلك كلـه، ومع سابقته في الإسـلام وهو من أصـحاب بيعة العقبة -وما أدراك ما بيعة العقبة وهي الــتي تكــونت بها الجماعة المســلمة لإقامة الدولة المســلمة- ومع ذلك كله لم يُــذكر بـأي صــفة من هــذه الصفات، لأنه عندما يتعين الجهـاد لا مجـال للطاعـات الأخـرى لأن تُذكر, وإنما يُذكر في مقابل الجهـاد القعـود والعتـاب والتـوبيخ, ولا يُقال "جزاه الله خيراً ذاك في المدينة، وياحظه يصلي في الحرم" أو "يعطي دروس"! هذا لا يقال لنص القرآن الكريم {قُلْ إِنْ كَـانَ آبَـاؤُكُمْ وَأَبْنَـاؤُكُمْ وَإِخْـوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِـيرَتُكُمْ وَأَمْـوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَـوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُـوا حَتَّى يَـأْتِيَ اللَّهُ بِـأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} [سورة التوبة : 24].

آمنوا إذا لقيتم الـذين كفـروا زحفا فلا تولـوهم الأدبـار ومن يـولهم يومئذ دبره إلا متحرّفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله} [الأنفال: 15-16].
الثاني؛ إذا نزل الكفار ببلد تعين على أهله قتالهم ودفعهم.
الثالث؛ إذا استنفر الإمـامُ قومـاً لـزمهم النفـير معـه، لقـول الله تعالى {يا أيها الذين آمنوا مـالكم إذا قيل لكم انفـروا في سـبيل الله اثّـاقلتم إلى الأرض... الآيـة} [التوبـة: 38] والـتي بعـدها، وقـال النبي صلى الله عليه وسـلم "وإذا اسـتنفرتم فـانفروا" [متفق عليـه]) [المغني: 10/365].
قال العلامة عبد القادر بن عبد العزيز: (ويتضح من هذا أن الجهــاد يكــاد أن يكــون فــرض عين على جميع المســلمين الآن، خاصة الموضع الثاني - إذا نـزل الكفـار ببلد - فمعظم بلـدان المسـلمين الآن يحكمها ويتسلط عليها الكفار، إما مستعمر أجنـبي كـافر وإما حكومة محلية كافرة، وإذا تعين الجهاد فإن تركه يكون من الكبـائر للوعيد الوارد فيه، بل من السبع الموبقات بنص حديث النبي صلى الله عليه وسلم) [العمدة في إعداد العدة].

[12] قـال شـيخ الإسـلام ابن تيمية رحمه الله: (وأما قتـال الـدفع؛ فهو أشد أنـواع دفع الصـائل عن الحرمة والـدين واجب إجماعـاً، فالعـدو الصـائل الـذي يفسد الـدين والـدنيا لا شـيء أوجب بعد الإيمان من دفعه، فلا يشترط له شرط بل يـدفع بحسب الإمكـان، وقد نص على ذلك العلمـاء أصـحابنا وغـيرهم) [الإختيـارات العلمية لابن تيمية، ملحق بالفتوى الكبرى: 4/608].

[13] قال صلى الله عليه وسـلم : ((من دخل مسـجدنا هـذا يتعلم خيرا أو يعلمه كان كالمجاهد في سبيل الله)) [رواه الإمام أحمد].

لو تتبعتم النصوص في وصف القاعدين, تجـدها متـواترة على هـذا المعـنى في أمتنا وفي الأمم السـابقة؛ فقـوم موسى لما تـأخروا عنه وصفهم الله سـبحانه وتعـالى أيضـاً بالفسق.{قَـالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَـافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَـوْمِ الْفَاسِـقِينَ} [سـورة المائدة : 25] ، وكذلك إذا تتبعنا الذين تخلفوا يوم تبوك, الله سبحانه وتعالى أيضاً وصفهم بالفسق.

فأما اليوم فهناك خلل في طريقة المحافظة على هذا الدين, وفي تفعيل الطاقـات لنصـرة هـذا الـدين, فـالآن أصـبح الـذي يقعد عن نصرة الدين لا يشعر بالإثم, بل هو يشعر أنه في طاعة, ولا يشـعر بسوءة هذه الكبيرة العظيمة التي جاء فيها عشـرات الآيـات تهـدد وتحـذر, وتـرغب في هـذه الطاعـة, وتـوبخ من يقعد عنهـا, وتقـرّع الذين يركنون إلى الدنيا, ومن كان الذي يُهدَد؟ صحابة رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم تهديـداً تلو التهديد,{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُـوا مَا لَكُمْ}، هذا توبيخ {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُـوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِـرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ} [سورة التوبة 38].

هل يجترئ أحدٌ منا اليوم أن يقـول لأبيه أو لعمه أو لشـيخه؛ "أأنت رضيت بالحياة الدنيا؟! هذه فلسطين منذ ثمـانين سـنة ما أطلقت فيها طلقـة! ولا غُـبرت قـدمك يومـاً من الأيـام! فـأنت من الـذين رضوا بالحيـاة الـدنيا!" لا أحد يسـتطيع أن يقـول ذلـك. هنـاك خلل عام في فهم الصحوة حـول الطـرق الـتي يحافظ بها على الـدين، والآيات كما ذكرت إذا تتبعناها كثيراً.

والشباب الذين عندهم القدرة على فداء الدين وعلى التضحية من أجل الــدين, للأسف الشــديد عنــدهم خلط في الســمع والطاعة لعلماء الإسلام القاعدين, فالقاعد لا يسـمع له ولا يطـاع، فمن هنا هذه الطاقات تبقى معطلة، ويصرفونهم عن الــواجب المتعين إلى فرض كفايـة؛ كطلب العلم، لو أصـبح كل النـاس علمـاء لن يقـوم الدين إلا بالجماعة والسمع والطاعة والنصرة والجهاد.

فمن هنا نحن بحاجة إلى أن نُفهّم الشباب أن قياداتهم العلمية هي راضــية بالــدنيا, هي تفر من واجب ثقيل تــدمّر منه بعض صـحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والله سبحانه وتعالى يبين ذلك بقوله {كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِـالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُـؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ} [سورة الأنفال : 5].

الصحابة رضي الله عنه لما خرجـوا يـوم بـدر خرجـوا على أنهم سـيأخذون العـير للتجـارة, فلما بلغهم أن قريشـاً قد خـرجت في ألف كره بعضهم ذلك, فقال رسـول الله صلى الله عليه وسـلم -كما يروي أبو أيوب- فقـال: ((أشـيروا علي أيها النـاس؟))، فقـال: أظهرنا كرهنا للقـاء العـدو. فقلنـا: (يارسـول الله ما خرجنا لقتـال عدو ولا طاقة لنا بهم, وإنما خرجنا للعـير)، فقـال: ((أشـيروا علي أيها الناس؟))، فكررنا ذلك، فقال: ((أشـيروا علي أيها النـاس؟)). فتكلم المقداد بن عمرو رضي الله عنه فقال: (يا رسول اللـه! إذاً لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى عليه السـلام {فَـاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ} [سورة المائدة : 24] ، ولكن نقول لك؛ إذهب أنت وربك فقاتلا فإنا معكم مقاتلون، والله لنقـاتلن عن يمينك وعن يسارك ومن بين يديك ومن خلفك).

فإذا كان الصحابة الكـرام الـذين عاشـوا في جو القتـال والجهـاد؛ القتال بين الأوس والخزرج أخذت منهم الشـيء الكثـير وهي عـبر عشرات السنين، وجـاء الإسـلام وهم في مطاحنـات لها أول ليس لها آخر, وكان القتل أمراً ليس ذي بال كبـير عند الأوس والخـزرج في الجاهلية. وجاء الإسلام ليحثهم على ذلك بالجهاد.

فكيف بنا اليـوم تتشـابه القلـوب وتتواطأ كلها - إلا من رحم الله - على القعود عن نصرة الله.

يجب أن يفهم الشباب أن هناك خللاً كبيراً، وأن هؤلاء لا بد أن نصفهم بالصفات التي وصفهم بها الله سبحانه وتعالى.

كل من يقعد عن الجهاد بغير عذر وصفه في القرآن ظاهر بيّنَ، إنّه "الفسق" {وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ} [سورة التوبة : 46] ، الذين يرضون بالقعود مع الخوالف؛ هم لا يفقهون, وإن أخذوا أكبر الشهادات من أفضل الجامعات, وهم لايعلمون وإن وجّهت إليهم كل أسئلة الفتاوى, فهذا نص كتاب الله سبحانه وتعالى، قال سبحانه وتعالى: {رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ}، هذا ذمٌ شديدٌ جداً لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد {رَضُوا} هذا هو الذم، {رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ} [سورة التوبة 78].

فمفتي الديار صاحب الكتب والتأليفات والمصنفات الكثيرة هو لا يفقه, لأن العلم ثمرته خشية الله سبحانه وتعالى. قالت تلك المرأة أم سفيان رحمها الله: (يا أيها العالم!)، قال: (إنما العالم من يخشى الله) [14]، فليس العلم هو كثرة الرواية، وإنما العلم هو عبادة الله بما أنزل سبحانه وتعالى والخوف منه وتقواه.

وقال سبحانه وتعالى في آية أخرى -بعدها في بضع آيات- {رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ}، لو كانوا يفقهون، وقوي اليقين في قلوبهم؛ أن ما عند الله سبحانه خير لهم من هذه الدنيا, لما ركنوا إليها ولما داهنوا، ولأسرعوا الخطى وتسابقوا في تلك الخيرات إرضاءً لله تعالى.

فأقول ينبغي أن يُشرح للشباب هذه المعاني, وتفك هذه القيود التي تقيدهم من ذلك.

فهذا أخونا أبو العباس [15] طاقة عظيمة - ومثله كثير جداً بالذات في بلادنا وفي بلاد الإسلام, ولكنها تُقيد - ولكنه نفع الله به, وخرج وانفك من ذلك القيد الذي تلبسه, فلما جاء هنا رأى الأمور على حقيقتها, وقال تلك الوصية البليغة لتنبيه الناس من ذلك الوهم, قال: (ما أنتم فيه من طلب للعلم؛ فهذا أمر عظيم, وهذا خير كبير, وجزاكم الله خيراً, أما إذا تعين الجهاد فلا ثمّ لا إذا تعين الجهاد لا يتزاحم معه شيء), يقول شيخ الإسلام رحمه الله : (إذا تزاحمت الواجبات قُدّم آكدها)، فالناس - وخاصة أبناء الصحوة - فيهم خير كبير وطاقات هائلة, وهم مستعدون للتضحية ولكن من المهم أن يزال عنهم هذا الضباب, وأن يزال عنهم هذا الغبش.

---

14 [?] تاريخ بغداد : 13/377.

15 [?] أبو العباس الجنوبي رحمه الله؛ هو عبد العزيز العمري؛ أحد فرسان غزوة نيورك وواشنطن المباركة، كان على متن الطائرة التي دكت البرج الشمالي لمركز التجارة العالمي، قال في وصيته: (الرسالة الرابعة؛ إلى طالب العلم؛ إلى من عكف على الكتب وثنا عند العلماء والمشايخ الركب؛ اه! كم لك من المعزة في القلب، لي معك تاريخ طويل، صاحبت كثيرًا وكثيرًا من أمثالك أولي الخلق النبيل، تروح وتغدو تسلك طرق الجنة، إنها نعمة تغبن عليها، لكن أما إذا ذكر الجهاد فلا وألف لا! الفرق شاسع بين الجلوس وبين خوضك المعامع. يا طالب العلم؛ الأمل في أن تجدد الحياة التي أنت فيها، اخرج في سبيل الله مرة وذق حلو هذا الطريق ومُرّه، انظر إلى التاريخ! انظر إلى ساحات الجهاد! فإن كنت تصبو أن تكون داعية فعلاً فساحات الجهاد تحتاج إليك! واعلم أنك لو تخلفت فإن الجهاد قائم، وسنة الله جارية {وإن الله غني عن العالمين}، {وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ}، إن التضحية لا بد منها، ولكن الإيمان مرتبط بالعمل، وهذه ضريبة الإصلاح والجنة غالية الثمن...).

من النصــوص الأخــرى الــتي ينبغي الاقتــداء بها في مثل هــذه الظروف:
هو حـديث حذيفة رضي الله عنه عن رسـول الله صـلى الله عليه وسلم حيث يصور وضعاً شبيهاً لوضعنا الحـالي, فيقـول رضي الله عنه: (كان الناس يسألون رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم عن الخير، وكنت أسأله عن الشر - مخافة أن يـدركني [16] - فقلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم، قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قـال: نعم، وفيه دخن، قلت: وما دخنـه؟ قـال: قـوم يهـدون بغـير هديي تعرف منهم وتنكر، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم، دعـاة على أبـواب جهنم من أجـابهم إليها قـذفوه فيهـا) [متفق عليه][17].

فهذا الوضع كما تلاحظون أن العالم الإسلامي انتشر فيه هذا الشر العظيم, وهو أن الأئمة الذين يدعون الناس إلى جهنم هم أظهر ما يكونـون في حكـام المنطقة - حكـام العـالم العـربي والإسـلامي - فهم في إعلامهم وأجهزتهم وإفسـادهم للبلاد, فهم يـدعون النـاس عـبر تبـنيهم للأفكـار الهدّامة وعـبر تبـنيهم للقـوانين الوضـعية والقوانين الكفرية, فهم يـدعون النـاس في الصـباح والمسـاء إلى أبـواب جهنم - ولاحـول ولا قـوة إلا بالله - فـالكفر بالله ورسـوله صلى الله عليه وسـلم على مـرأى ومسـمع في الصـحف وأجهـزة التلفـاز, وفي الراديو والنـدوات, ولاينكر عليهم منكـر, فهـؤلاء هم الأئمة الذين يدعون الناس إلى جهنم.

ما هو الحل إذا حصل مثل هذا؟
فهـذا الصـحابي الجليل رضي الله عنه سـأل حـتى وصل إلى مثل هذه الحالة فقال: (هل بعد ذلك الخير من شـر؟ فقـال: نعم دعـاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قـذفوه فيهـا)، وقـال رضي الله عنه: (فما تأمرني إن أدركني ذلك؟).

هذا كلام واضح بيّن صريح يسأل عن المخرج في مثل هـذه الحالة الــتي نحن نعيش فيها اليــوم، فيقــول: (ما تــأمرني إن أدركــني ذلك؟)، فـأمره بـأمر واحد - رغم كـثرة الواجبـات وأهميتها - ولكن في مثل هـذا الوضع هنـاك أمـرٌ واحد يتقـدم على جميع الواجبـات الأخرى بعد الإيمان، قـال: (فما تـأمرني إن أدركـني ذلـك؟) قـال: ((تلزم جماعة المسلمين وإمامهم)).

فهـذا الـواجب العظيم الـذي هو فـرض السـاعة لا مكـان له بين العلماء اليوم ولا يتحدثون عنه, بل شـغلوا كل واحد منهم - إلا من رحم الله - بالتهليل والمـدح للأئمة الطـواغيت الـذين كفـروا بالله ورسوله, فبرقيـات تـذهب من هـؤلاء لمـدح هـؤلاء الحكـام الـذين كفــروا بالله ورسـوله, ويُكفر بالله ورســوله في صــحفهم وفي إعلامهم, وبرقيات أخرى من هؤلاء الحكام الذين كفروا إلى هـؤلاء العلماء تمدحهم, ودلسوا في ذلك على الأمة!

فالأمة لم تصب من قبل بمثل هذه الكارثة التي أصيبت بها اليــوم, كان يحصل خلل ولكنه جزئي, أما الخلل اليـوم فهو قد عمّ النـاس مع هذه الثورة الإعلامية, وأصبح الإعلام يدخل على كل بيت، فهذه الفتنة ما سلم منها بيت حضر ولا بيت وبر, ما سلم منها أحـد، في السـابق كـان يـزِل العـالم وتبقى زلته محـدودة في مكـان معين,

---

[16] قال حذيفة رضي الله عنه: (إن أصـحابي تعلمـوا الخـير، وأنا أتعلم الشـر!)، قيـل: وما يحملك على ذلـك؟! قـال: (إنه من تعلم الشر يَتّقِهِ) [كتاب العلم، لزهير بن حرب: ص20].

[17] وتتمة الحديث: (قلت: يا رسول الله صفهم لنا؟ قال: هم من جلـدتنا ويتكلمـون بألسـنتنا! قلت: فما تـأمرني إن أدركـني ذلـك؟ قـال: تلـزم جماعة المسـلمين وإمـامهم، قلت: فـإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك).

ويَفجُر الأمير والحاكم ويبقى فجُوره محدوداً داخل القصـر، أما أن يصبح جُل الناس أسرى وظائفهم التي هي لهذا الطاغيـة، فهـذا ما حصل في تاريخ الإسلام قط.

وكلما حصل انحـدار وكلما حصل بُعد عن دين الله فهنـاك تلقائيـةً في هذا الدين وفي منهجه القويم المتكامل، يبدأ هناك آخرون في تصحيح المسار ويضـحون بأنفسـهم, لكن لم يحصل قط أن سـواد الأمة وأن الفقهاء والعلماء أسرى وظائف عند الطواغيت!

حدثني بعضهم قال: "نحن لا نستطيع أن نقول الحق, لأننا إذا أردنا أن نقول الحق نفكر في هؤلاء الأطفـال الـذين في الـبيت وهـؤلاء النساء, أين يذهبون؟ وأين نذهب نحن؟".

فينبغي على الشـباب أن يفهم طبيعة العلاقة اليـوم بين مـوظفي الدولة والحـاكم, وكل من هو موظف دولـة؛ هو موظف دولـة, ولا ينبغي للشـباب أن يغضب إذا قلنـا؛ إن الشـيخ الفلاني هو موظف دولة.
نحن لو عملنا استبياناً أو أي جهة ما قدمت بعمل استبيان للنـاس, في هـذا الاسـتبيان الاسم والعمر والحالة الاجتماعية والوظيفـة؛ "هل أنت موظف حكـومي؟ أم حر متكسـب، كما يقـال عنـدنا أو تاجر؟ أو لايوجد عمل أو متقاعد؟"، فماذا سـيكتب من هو موظف للدولة؟

فالمدير سيكتب؛ أنا موظف دولة موظف حكومة.
والشرطي سيقول؛ أنا موظف حكومة.
والقضاة سيقولون؛ نحن موظفو حكومة.
وعلماء دار الإفتاء سيقولون؛ نحن موظفو حكومة!

فهناك خلل في فهم الشباب إذا وصفنا هؤلاء بأوصافهم الحقيقيـة؛ أنهم موظفو حكومة تراه يغضب!
فهـذا خلط عجيب وازدواجية عجيبـة! أنت تـرفض أن ننسـبهم إلى هذا الحاكم الطاغية! وهم هذا وصفهم وهذه حقيقتهم.

فطريق الحل طريق واضح جـداً جـداً بيّن في كتـاب الله وسـنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فهذه الأمور العظام:

1) حلها بالاجتماع للجهاد.
2) حلها بالجماعة والسمع والطاعة والجهاد.
3) حلها تلزم جماعة المسلمين وإمامهم.

وجماعة المسلمين وإمامه أول واجب عليهم هـو؛ دفع الكفر ودفع العدو الصائل، ويقول الله سبحانه وتعالى: {فَقَاتِلْ فِي سَـبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلا نَفْسَكَ وَحَـرِّضِ الْمُـؤْمِنِينَ عَسَـى اللَّهُ أَنْ يَكُـفَّ بَـأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلاً} [سـورة النسـاء : 84]، فدفع بأس الكفار هو:

1) بالتحريض.
2) وبالقتال.

فلماذا الناس لا يهتـدون؟ لأن على هـذا الطريق دعـاة إلى أبـواب جهنم:

1) الحكـــام وأجهـــزتهم يـــدعون النـــاس في الليل والنهـــار يصرفونهم عن هذا الطريق المستقيم.
2) وموظفو الحكومة بعضهم وُظفوا عيناً للصد عن دين الله.

وظفتهم الدولة بمسـمـيات مختلفـــة، لكن حقيقة الوظيفة هو موظف يشهد شهادة الزور.

فـوزير الإعلام مثلاً مهمته أن يشـهد شـهادات الـزور، هو وجهـازه كله، في كل يـوم يـدلس على النـاس, ويظهر أن البلاد هي أفضل بلاد, وأن الحاكم هذا عبقري ليس مثله شيء، وقس على ذلك.
وكـذلك وزير الـدفاع يـدلس على النـاس ويشـهد شـهادات الـزور ويقـول إننا بخـير, وإن قواتنا المسـلحة جيـدة, ونحن في الحقيقة تحت الاحتلال منذ أكثر من عقد من الزمـان! كل العـالم يعلم أننا

تحت الاحتلال, وأن الطائرات الأمريكية تخرج متى شاءت دون أن تخبر أحداً في الليل أو النهار. ويخرج علينا وزير الدفاع ليقول: "نحن مستقلون وليس أحد يستخدم أراضينا بغير إذننا"، فهؤلاء الذين يشهدون شهادة الزور.

وبفضل الله الوعي الذي انتشر في الفترة الأخيرة بين الناس أصبحوا يعرفون ويعلمون أن هؤلاء موظفو حكومة.

لكن الخطر الذي يأتينا ليس من وزير الداخلية وليس من أتباع وزير الداخلية, فهؤلاء مهما فعلوا لا يستطيعوا أن يلبسوا على الناس, فخطر تلبيسهم مكشوف ومعروف لدى العوام أنهم يكذبون عليهم ويخادعونهم، ولكن الخطر الشديد عندما يأتي الكذب والخداع من أئمة الذين الذين هم ما اتقوا الله سبحانه وتعالى, ويشهدون شهادة الزور في الصباح والمساء يضللون الأمة [18].

فكيف إذا كانت شهادة الزور في البيت الحرام, في مكة المكرمة عند الكعبة المشرفة، وقد صح عن نبينا صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((أبغض الناس إلى الله ثلاثة)) فذكر أولهم ((ملحد في الحرم)) - هذا كما في صحيح البخاري رحمه الله - فهذا من أعظم الإلحاد في الحرم؛ أن تشهد شهادة الزور تضلل أمة من أجل بضعة دراهم تأخذها في آخر كل شهر.
فلا يختلف أحد في كفر هؤلاء الحكام, وفي فجورهم, وفي إباحتهم للبلاد, وإفسادهم للعباد.
ثم تأتي وتشهد شهادة الزور في ذلك المكان العظيم؛ في البيت الحرام وفي الشهر الحرام! -ولا حول ولا قوة إلا بالله-

وقد قال صلى الله عليه وسلم ((ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟!))، فقال صلى الله عليه وسلم: ((الشرك بالله -عافانا الله وإياكم من الشرك- وعقوق الوالدين -وكان متكئاً فجلس فقال- ألا وشهادة الزور, ألا وشهادة الزور, ألا وشهادة الزور))، فما زال يكررها حتى قال الصحابي: (حتى قلنا؛ ليته سكت) [متفق عليه].

فهذه شهادة الزور، تشهد شهادة زور على شبر من الأرض، هي من أكبر الكبائر في أي بقعة من الأرض تشهدها, فكيف تشهد عند البيت الحرام؟! [19] هذه شهادة الزور في كل جمعة وفي كل مناسبة لتضلل أمة بأسرها, من أجل بضع دراهم - ولا حول ولا قوة إلا بالله - فكم هو إثم هذا الذي يشهد هذه الشهادة!

فهؤلاء موظفو دولة لا يمكن لعاقل أن يرجع إليهم في أمور دينه, فأقل ما يقال فيهم؛ كما يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب عليه رحمة الله للذين يدافعون عن الحكام الطواغيت، قال: (أقل

---

[18] [?] قال صلى الله عليه وسلم: ((غير الدجال أخوف على أمّتي من الدّجال؛ الأئمة المضلون)) [رواه الإمام أحمد].
قال الشيخ أبو قتادة الفلسطيني: (في هذا الحديث إرشاد نبويّ إلى وجوب كشف الأئمّة المضلّين، كما كشف رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الدّجال، بجمع فتنتهما. وإذا كان الدّجال هو أعظم فتنة تقع في الدّنيا كما جاء في بعض الأحاديث، فإن هذا الحديث يبيّن أن الأئمّة المضلين هم أشد فتنة وأكثر سوءاً وأعظم إفساداً...) [سلسلة مقالات بين منهجين: 10].

[19] [?] قال ابن القيم: (ومن خواصه – يعني حرم الله وبيته - أنه يعاقب فيه على الهم بالسيئات وإن لم يفعلها، قال تعالى {وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ}[الحج: 25]... فوعد من هم بأن يظلم فيه بأن يذيقه العذاب الأليم، ومن هذا تضاعف مقادير السيئات فيه... فالسيئة في حرم الله بلده وعلى بساطه آكد وأعظم منها في طرف من أطراف الأرض، ولهذا ليس من عصى الملك على بساط مُلكه كمن عصاه في الموضع البعيد من داره وبساطه) [زاد المعاد 1/17].

أحـــوالهم أنهم فسّـــاق) [20], فهـــؤلاء أقل أحـــوالهم أنهم فسّـــاق. فينبغي للناس أن يقاطعوهم, وأن يهجروهم.

فإنه كما يقول ابن عباس رضي الله عنه في الحـديث عن رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم : (إن أول ما دخل النقص على بـني إسرائيل؛ كان الرجل يلقى الرجل فيقـول: يا هـذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لـك! ثم يلقـاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكـون أكيله وشريبه وقعيده) [رواه أبو داود][21]، فهـذا من أول النقص الـذي يدخل على الأمة.

فلابد من التباين، فنحن لا نتكلم عن أمور صـغائر, وإنما نتكلم عن أكبر الكبـائر, الشـرك بالله الـذي تحكم به البلاد, ومـوالاة الأعـداء الذي هو من نواقض الإسلام [22].

فـإذا لم يحصل للشـباب هـذا الفهم، للأسـف؛ تجد شـاباً يأتيك مسـروراً أنه التقى بالشـيخ الفلاني من أئمة الحـرم, ما ينبغي أن تبتسم في وجه هـذا الفاسق الـذي يضـلل الأمة بأسـرها! فـإذا لم يحصل هذا الفهم في الصحوة لن نصل إلى مرادنا لإقامة الحق.

فـالتبيين والإيضـاح للنـاس أن الأئمة قد ضلوا؛ هـذا أمر في غاية الأهمية , لـذلك في الحـديث الصـحيح عن أبي بكر رضي الله عنه لما سألته المرأة الأحمسـية، قـالت لـه: (ما بقاؤنا على هـذا الأمر الصالح – هذا الإسلام - الذي جاء الله به بعد الجاهلية؟) فقال لهـا: (بقـاؤكم عليه ما اسـتقامت بكم أئمتكم) [رواه البخـاري]، فاسـتقامة الإمام هي شرط مهم لبقاء الدين.

فالذين يريدون أن يقولوا للنـاس؛ إن الـدين موجـود مع أن الإمـام قد كفر بالله ورسـوله منذ قـرن من الزمـان, منذ أن أقيم بقـوة الإنجلـيز ووالى الإنجلـيز وبسـلاح الإنجلـيز وبـذهب الإنجلـيز [23],

---

[?][20] قـال شـيخ الإسـلام محمد بن عبد الوهـاب: (إن هـؤلاء الطـواغيت الـذين يعتقد النـاس فيهم وجـوب طاعة من دون الله كلهم كفار مرتدون عن الإسلام - كيف لا وهم يحلون ما حـرم الله ويحرمون ما أحل الله، ويسعون في الأرض فساداً بقولهم وفعلهم وتأييدهم - ومن جادل عنهم، أو أنكر على من كفـرهم، أو زعم أن فعلهم هذا - لو كان باطلاً - لا ينقلهم إلى الكفر، فأقل أحـوال هـذا المجادل أنه فاسق، لأنه لا يصح دين الإسلام إلا بالبراءة من هؤلاء وتكفيرهم) [الرسائل الشخصية: ص 188].

[?][21] وتتمة الحديث: ((فلما فعلوا ذلك ضـرب الله قلـوب بعضـهم ببعض، ثم قـال {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَـرُوا مِنْ بَنِي إِسْـرَائِيلَ عَلَى لِسَـانِ دَاوُدَ وَعِيسَـى ابْنِ مَـرْيَمَ...}إلى قوله {فَاسِـقُونَ}، ثم قـال: كلا والله لتأمرن بـالمعروف ولتنهـون عن المنكر ولتأخـذن على يـدي الظالم ولتأطرنه على الحق أطرا ولتقصرنه على الحق قصرا)).

[?][22] قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في نواقض الإسلام: (الثامن؛ مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسـلمين، والـدليل قوله تعالى {ومن يتـولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهـدي القـوم الظالمين}).

[?][23] سأل أحمد منصـور – مقـدم برنـامج شـاهد على العصر في قناة الجزيـرة - طلال بن عبد العزيز آل سعود: (هل صـحيح كـان يتقاضى – أي عـبـــدو الله عبد العزيز آل ســـــعود - راتب من البريطانيين؟)، فاجاب: (آه، نعم، كـان يتلقى راتب، وكـان الـراتب هذا، هو أنا من وجهة نظري الآن لما هم "إدُّوله" هـذا الـراتب، هو مثل قروض، القروض التي تمنح من الدول الغنيَّة للدول الفقيرة)، فقال مقدم البرنـامج: (يعـني لم يكن هـذا الـراتب بمثابة إسـكات للملك أو نـوع من شـراء الـولاء؟)، فأجـاب طلال بن عبد العزيـز: (ممكن، ممكن، لأنه هـدف الإنجلـيز، طبعـاً معقـول يعطـوا راتب خمسة آلاف جنيه في ذلك الـوقت لإنسـان في الصـحراء؟ مبلغ ضخم! هل ممكن يعطوه هكذا لوجه اللـه؟ لا! هم يعطـوه لغـرض

وعاث في البلاد، وكان من أكبر أسباب سقوط الدولة الإسلامية - الدولة العثمانية - هذا كافر بالله لا يمكن أن يكون مؤمناً، لايبقى الدين حاكما إذا كفر الإمام.

فهذا الفقه لابد أن يكون واضحاً جلياً, فعندما يكفر الإمام يجب أن ينتفض الناس [24]، لم يعد الإسلام موجوداً, لابد من الحركة لإقامة إمام يقيم في الناس حدود الله سبحانه وتعالى، فقال: ((تلزم جماعة المسلمين وإمامهم)).

من الخدع التي يستخدمها الحكام في مخادعة الناس؛ وكأننا قد أظلنا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأظلتنا الحالة التي يتحدث عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: ((إن بين يدي الساعة سنين خداعة، يتهم فيها الأمين ويؤتمن الخائن ويصدق فيها الكاذب ويكذب فيها الصادق، ويتكلم فيها الرويبضة))، قيل: يا رسول وما الرويبضة؟ قال: ((السفيه ينطق في أمر العامة)) [25].

فهذا الزمان كما هو ملاحظ من الخدع التي يستخدمها الحكام سواء حكام العرب وحكام المسلمين أو حكام العالم اجمع.

فمن أَظهر تلك العلامات أن يتحدث بوش على أن سفاح العصر شارون يسميه بـ "رجل سلام" [26].
وكذلك حكام المنطقة يخادعوننا, ويوالون الكفار, ثم يدعون أنهم ما زالوا على الإسلام.

ومما يزيد في هذا الخداع هو استحداث هيئات غرضها التدليس على الناس. وقد يستغرب الناس عندما نتحدث عن أن بعض الهيئات المنتسبة إلى الشرع والمنتسبة إلى الفقه وإلى العلم أنها تقوم بهذا الدور - من حيث تدري أو لا تدري - فغرض النظام من إظهار بعض العلماء على شاشات التلفاز وعبر محطات الإذاعات

في نفس يعقوب لا شك في ذلك، المهم متلقي هذا العطاء كيف يفسره؟ وكيف يستعمله؟ وكيف يكون موقفه تجاه المعطي؟) [برنامج شاهد على العصر، تاريخ الدولة السعودية كما يراه الأمير طلال، الحلقة الأولى، الثلاثاء 9-9-1421هـ].

[24] قال القاضي عياض: (أجمع العلماء على أنّ الإمامة لا تنعقد لكافر وعلى أنّه لو طرأ عليه كفر ينعزل... وكذا لو ترك إقامة الصلوات والدعاء إليها... وكذلك عند جمهورهم البدعة... فلو طرأ عليه كفر وتغيير للشرع أو بدعة خرج عن حكم الولاية وسقطت طاعته ووجب على المسلمين القيام عليه وخلعه ونصب إمام عادل إن أمكنهم ذلك، فإن لم يقع ذلك إلاّ لطائفة وجب عليهم القيام بخلع الكافر ولا يجب في المبتدع إلاّ إذا ظنّوا القدرة عليه فإنّ تحقّقوا العجز لم يجب القيام فيها وليهاجر المسلم عن أرضه إلى غيرها ويفرّ بدينه) [شرح صحيح مسلم للنووي 12/229].
وقال ابن حجر: (وملخّصه أنّه ينعزل بالكفر إجماعاً، فيجب على كلّ مسلم القيام في ذلك) [فتح الباري 13/123].

[25] كنز العمال، وعند الإمام أحمد: ((الفويسق يتكلم في أمر العامة)).

[26] جاء في جريدة البيان الإماراتية تحت عنوان "السلام على الطريقة الأمريكية": (... في الوقت الذي وصف "تيري لارسن" مبعوث الأمين العام للامم المتحدة ما جرى في جنين بأنه "فظاعة تفوق التصور!"، وبينما طالب مسئولون دوليون باحالة مرتكبي هذه المجزرة الى المحاكمة الدولية! فإن الرئيس دبليو بوش يصف شارون بأنه "رجل سلام يريد ان تعيش اسرائيل بسلام مع جيرانها"، اذا كان شارون رجل سلام فمن يكون الارهابي؟! ومن يكون السفاح اذن؟!) [جريدة البيان/السبت/7 صفر1423 هـ].

لإفتاء الناس, ليس هذا هو الغرض الأساس لهذه المهمة, ولو كـان كـذلك لظهر الصـادقون من العلمـاء على شاشـات المحطـات المحلية وغيرها, وعلى المحطات الإذاعية المحليـة, ولكن الغـرض أن هـذه الهيئـات لها مهمة في الظـروف الحرجة وفي سـاعات الصفر.

كما رأينا من قبل عنـدما والى النظام القـوات الأمريكية الصليبية وأدخلها إلى بلاد الحـرمين, وضج النـاس وضج الشـباب, فكـان صمّام الأمان للناس أن هذه الهيئة وأمثالها صدّرت فتـاوى بإلحـاق الإجـازة لتصـرف الحـاكم وَسـمّوه بــ "ولي الأمـر" - وما هو للمسلمين بولي أمر على الحقيقة - فينبغي الانتباه إلى ذلك.

وقد يتعجب النـاس؛ هل يعقل أن هـذا الشـيخ فلان أو ذلك على جلالة قـدره في العلم, ورغم كـبر سـنه, هل يعقل أن يـبيع دينه بعرض من الدنيا قليل؟!

أقول: إن الإنسان ليس بمعصـوم [27], وإذا نظرنا في تاريخنا وفي تاريخ العالم الإسلامي عبر القرون الماضية فنجد أن هذه الحـالات تتكرر.

وسأذكر مثالاً أو مثالين ليعي الناس هذا الأمر:

1) فقد ذكر الإمـام الـذهبي رحمه الله في سـيَره, ذكر سـيرةَ علي بن المديني رحمه الله - أنظر إلى مقدمة تلك السـيرة - وقال: (علي بن المـديني... أمـير المؤمـنين في الحـديث) [سير أعلام النبلاء: 11/41]، وذكره ووصفه ومدحه وذكر أن الناس في علم الحـديث عالة عليـه, ولكن من بـاب الإنصـاف مع جلالة قـدر علي بن المـديني - وإذا ذكر لا يـذكر علماؤنا في هـذا العلم بجـواره - ولكنه مع ذلك زل زلـةً شـديدة عنـدما تعـرض لخدمة السـلطان, وعنـدما ضغط عليه أمـراء بـني العبـاس وافقهم بضد ما يعتقـد, وفي ضد ما كـان يُـدَرّس, وافقهم في تلك الفتنة المضلة الفظيعة [28].

2) وكـذلك شيخ المؤمـنين في الحـديث يحـيى بن معين رحمه الله [29] زل نفس الزلة.

وكثير من العلمـاء في ذلك العصر زلـوا هـذه الزلـة, نتيجة للتهديد بالضـرب والسـجن, وقد يصل إلى القتـل, وما ثبت إلا عـدد يسـير كما تعلمون كان منهم إمام أهل السـنة والجماعة الإمـام أحمد بن حنبل رحمه الله فينبغي التنبه لـذلك, واقـرأوا هـذه السـيرة لـتروا ولتعتبروا بحال الناس.

وقد صح عن نبينا صـلى الله عليه وسـلم أنه قـال: ((لا يقضي القاضي بين اثـنين وهو غضـبان)) [رواه الإمـام أحمـد]، هـذا إذا كـان القاضي غضبان فينبغي عليه أن لا يقضي بين اثنين، فكيف إذا كان خائفاً؟ والخوف أشد وقعاً على النفوس من الغضب كما يقول ابن

[?][27] قـال صـلى الله عليه وسـلم: ((بـادروا بالأعمـال فتنا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كـافرا، أو يمسي مؤمنا ويصبح كافرا، يبيع دينه بعرض من الدنيا)) [رواه مسلم].

[?][28] قال الذهبي: (قال ابن عمار المَوْصِـليّ في تاريخـه؛ قـال لي علي بن المـــــديني؛ ما يمنعك أن تكفر الجهمية – وكنت أولاً لا أكفرهم – فلما أجاب علي إلى المحنة كتبت إليه أذكره ما قال لي وأذكره الله، فأخبرني رجل عنه أنه بكى حين قرأ كتـابي، ثم رأيته بعد فقال لي؛ ما في قلـبي مما قلت وأجبت شـيء، ولكـني خِفت أن أقتل، وتَعْلمُ ضعفي أني لو ضربت سـوطا واحـدا لمتّ، أو نحو هذا) [سير أعلام النبلاء: 11/57].

[?][29] قال الـذهبي: (هو الإمام الجهبذ، شيخ المحـدثين)، وقـال: (وكان يحيى رحمة الله من أئمة السنة، فخاف من سـطوة الدولة وأجاب تقية) [سير أعلام النبلاء: 11/ 71 و87].

القيم رحمه الله : (فمن قصر النهي على الغضب وحـــــده، دون الهم المزعج، والخـوف المقلق، والجـوع والظما الشـديد، وشـغل القلب المـانع من الفهم، فقد قل فقهه وفهمه) [إعلام المـوقعين ج1 ص 207-208].

فالناس في بلادنا خائفون من أن يقولوا كلمة الحق, فينبغي التنبه. وقد صرّحوا لنا مراراً كبار العلمـاء الـذين يشـار إليهم بالبنـان عن الخوف الذي يخشونه فيما لو صدعوا بـالحق, وقد حـدثت من قبل أن أحد كبار العلماء في هيئة كبار العلماء حدثني عنـدما كنّا نقـول لهم: "إنه ينبغي إصدار فتوى بوجوب الإعداد, على التسليم فرضـاً بقولكم أن وجود الأمريكان في البلاد ضرورة", فاعتذر عن إصـدار فتـوى مع تصـريحه في المجلس بأنه حـق, وأنه لابد من أن يكـون العمل للجهاد في البلاد على أبناء البلاد وأن يخرج الأمريكان, قال: (لكن الدولة لا توافق لنا بهذا), ولمّا قلنا له: "حاولوا عبر هيئة كبار العلمـاء أن تستصـدروا فتـوى بـذلك, فقـال كلامـاً وأنا أشـكر له مصارحته لي, قال ليس في نظامنا في قانون هيئة كبار العلمـاء", قـال: (لسـنا نحن الـذين نبحث القضـية ونصـدر فيها فتـوى، وإنما تصدر الفتاوى في المسائل التي تحـال إلينا من المقـام السـامي) [30] - على حد تعبيره -

فينبغي للناس أن تعي هذا الأمر، فإذا استمر هذا الخلط ولم يتميز الولاء للمؤمـنين وللـدين, ولم يتمـيز الـبراء والـبراءة من الشـرك والإلحاد, فلن نجد السبيل الذي نصل به إلى رضـوان الله سـبحانه وتعـالى، فهـذا أمر في غاية الأهمية وفي غاية الخطـورة. وينبغي على الصـادقين من العلمـاء وطلبة العلم والـدعاة أن يوضـحوه للناس وللشباب, حتى لا يلتبس عليهم الأمر.

فالنظـام كما أنه اسـتحدث وزارة الإعلام مهمتها التـدليس على الناس,كذلك هو فـرّع ميزانية ضخمة لهـذه الهيئـات الـتي تنتسب إلى الإسلام, مهمتها أن تعطي الشرعية للنظـام وأن النظـام على حق.

فحـتى تتصـوروا المسـألة, تصـور أن مبـنى هيئة كبـار العلمـاء هو ملحق بالقصر الملكي, وتصــــور أن دار الإفتــــاء في الأزهر هي ملحقة بالقصر الجمهوري التابع لحسـني مبـارك [31], ودار الإفتـاء

30[?] قال الشيخ أسامة: (...فعندما دخل الأمريكان في محرم في أول سنة 1411 هجرياً... وصـدرت - للأسـف- فتـاوى, دولة ودول الخليج ساهمت في الضغط على هؤلاء العلمـاء لإصـدار مثل هـذه الفتـاوى الـتي زعمـوا لهم أنها مؤقتـة، وقد حـدثنا من نثق به من هؤلاء العلماء، أمثال الشيخ محمد بن صـالح العـثيمين في مجلسه وفي بيته، قال: "نحن لم نصدر فتـوى، وإنما بعد أن أدخلت الدولة الأميركان جمعونا وقالوا: لابد أن تصدروا فتوى، وإلا فـإن الشـباب سوف يقاتلون هذه القوات الأميركية"!! وتحـدثت معه طـويلاً في وجوب إصـدار فتـوى بـإخراجهم من هيئة كبـار العلمـاء، فقـال لي بوضوح - يشهد الله الذي لا إله إلا هو - قال: "يا أسـامة! ليس من حقنا في هيئة كبار العلماء أن نصـدِّر فتـوى من عند أنفسـنا، وإنما إذا أحيلت إلينا من المقام السامي – على حد تعبيره - نحن نصـدر فيها"، فهذا حالنا للأسف الشديد) [مقابلة مع قناة الجزيرة سنة 1420هـ].

31[?] يقول الشيخ أيمن الظـواهري: (... فمفـتي الـديار المصـرية، وهو الموظف الرسـمي في الحكومة المصـرية الـذي يتلقى راتبه منها ليؤدي عمله الذي استأجروه عليه؛ وهو إسباغ الشـرعية على النظام العلماني الباطش بالمسلمين المـوالي لليهـود، في صـورة تتفـوق في غلوها على أشد عتـاة غلاة المرجئة الأوائـل، هو نفسه الـــذي أفتى المحكمة العســكرية العلمانية بإعــدام المجاهــدين الخمسة أبطال الإسلام في مصر - محمد عبد السـلام فـرج وعبد الحميد عبد السلام وخالد الإسلامبولي وحسين عباس وعطا طايل - الذين قتلوا انور السادات، الذي وقع أربع اتفاقيـات مع إسـرائيل تعهد فيها بـالاعتراف بدولة إسـرائيل واسـتيلائها على فلسـطين... وأشهر هذه الاتفاقات هي اتفاقية السـلام مع إسـرائيل - في عـام

في بلاد الحرمين ملحقة بقصر الملك، فهل تذهب وتسأل هذا الرجل الموظف الذي يتقاضى راتباً من الملك, تسأله عن حكم الملك؟ وهل الملك فعلاً والى الكفار؟! وهل الولاء للكفار ناقض من نواقض الإسلام؟! هذه المسائل واضحة بينة وإن التبس على بعض الناس لقلة علمهم، فيُرجع بها إلى الصادقين، فلا تذهب تسأل موظفاً عند الملك عن حكم الملك!

فهؤلاء كما ذكرت لا يقاسون بعلي بن المديني رحمه الله ولا يقاسون بيحيى بن معين رحمه الله، ومع ذلك كمٌ هائل غفير الذين زلّوا عندما ضغط عليهم السلطان.

فلنأخذ بكلام الإمام علي رضي الله عنه عندما قال للحارث: (يا حارث! إنه ملبوسٌ عليك, لا يُعرف الحق بالرجال, اعرف الحق تعرف أهله) [32].

فهذه المسألة حاصل فيها – للأسف - تقليد كبير, كثير من الشباب يقلدون أمرهم لبعض موظفي الدولة, وهؤلاء يوضع عليهم عباءة ويعطون أسماء كبيرة، وهم في الحقيقة موظفون للدولة، عن علم أضلهم الله سبحانه عن علم, ففي كتبهم, وتعلمنا من كتبهم؛ أن من نواقض الإسلام العشرة موالاة الكافرين [33]، ويصارحوننا في مجالسهم الخاصة, ولكن يخافون ويتاولون كما تأول يحيى بن معين رحمه الله فينبغي التنبه لذلك.

ومن الأمور المهمة في ميدان النجاة والخروج من هذا التيه؛ هو النصح للدين -النصح لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم- فمسألة النصيحة هي في غاية الأهمية, وهي الإطار المهم الذي يحفظ الدين. ولذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((الدين النصيحة)) [رواه مسلم]، لأن النصيحة التي هي من أبرز معالمها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ هي التي تحافظ على الدين, فلذلك اختصر عليه الصلاة والسلام الدين بهذه الكلمة ((الدين النصيحة)).

1979 - التي نصت على؛ إنهاء الحرب بين مصر وإسرائيل إلى الأبد! ومنعت مصر من مساعدة أية دولة تتعرض لعدوان إسرائيل، بل ودعت إلى التطبيع مع إسرائيل في كل المجالات السياسية والاقتصادية والفكرية، ثم أصدر الأزهر فتوى يبارك فيها هذه الاتفاقية، ويقرر فيها أنها تتفق مع الشريعة!) [الولاء والبراء عقيدة منقولة وواقع مفقود].

[32] قال ابن الجوزي: (وأعلم أن عموم أصحاب المذاهب يعظم في قلوبهم الشخص، فيتبعون قوله من غير تدبر بما قال، وهذا عين الضلال، لأن النظر يجب أن ينبغي أن يكون إلى القول لا إلى القائل، كما قال علي رضي الله عنه للحارث بن حوط – وقد قال له اتظن أنا نظن أن طلحة والزبير كانا على باطل - فقال له: "يا حارث إنه ملبوس عليك إن الحق لا يعرف بالرجال، اعرف الحق تعرف أهله") [تلبيس إبليس 80].

[33] قال ابن باز - المفتي السابق للدولة السعودية - : (وقد أجمع علماء الإسلام على أنّ من ظاهر الكفار على المسلمين وساعدهم بأي نوع من المساعدة فهو كافر مثلهم!!) [مجموع الفتاوى والمقالات 1/274]، وقال ايضا : (أما الكفار الحربيون فلا تجوز مساعدتهم بشيء ، بل مساعدتهم على المسلمين من نواقض الإسلام لقول الله عز وجل {ومن يتولهم منكم فإنه منهم}) [فتاوى إسلامية/جمع محمد بن عبد العزيز المسند/ج 4/فتوى رقم 6901].
ويقول صالح الفوزان - عضو هيئة كبار العلماء في الدولة السعودية - : (ومن مظاهر موالاة الكفار إعانتهم ومناصرتهم على المسلمين ومدحهم والذب عنهم، وهذا من نواقض الإسلام وأسباب الردة) [الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد: ص351].

ولكننا في زمن اختلط على النـاس فهم الـدين, وظنـوا أن الـدين يقوم بغير نصيحة ويقـوم بغـير المخـاطرة. فنظـرا لكـثرة الـترف الذي أصاب الناس, وإلى ركـونهم إلى الـدنيا وإلى الأرض, والأشد والأنكى أن هذا المـرض القاتل يوزّعه هـؤلاء القاعـدون الراكنـون إلى الـدنيا على الشـباب الصـادقين الغيـورين على دينهم, الـذين يريدون أن ينكروا المنكر, ويأمرونهم بعدم إنكار المنكـر, وهم في ذلك يتقدمون بآرائهم بين يدي حديث رسـول الله صـلى الله عليه وسلم كما سنذكره بإذن الله.

فلا يستقيم أمر الـدين إلا بالنصح وإلا الأمر بـالمعروف والنهي عن المنكر, وتحمّل كل المخاطر في سبيل هذا الدين, ولـذا قـال عليه الصلاة والسلام: ((إن أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جـائر)) [رواه الإمام أحمد]، هذا كله حتى يستقيم الدين.

وحال هؤلاء الذين يعرّضون أنفسهم للمخاطر من أجل أن يستقيم الدين كحال أناس في سفينة, يسير بها قائـدها إلى هاوية سـحيقة في مجـرى نهـر, فهـذا يريد أن ينصح القائد وهـؤلاء من خـوفهم يقولون له؛ "إذا نصحته سيقتلك لا تنصـحه!", فالحاصل أن الجميع سيذهبون إلى تلك الهاوية [34].

ففي ديننا من التأكيد والحرص على تصحيح المسار، إلى درجة أن تقدم نفسك في سبيل الله لتصحيح المسار حتى يبقى النـاس على الدين, فلذا جاء حديث رسول الله صلى الله عليه وسـلم : ((سـيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمام جائر فـأمره ونهـاه، فقتلـه)) [رواه الحـاكم] ، فهـذا للأسف الفهم الواضح الصـريح للحديث، كـان علماؤنا ومشـايخنا يقومـون بتثبيطنا عنه وينهوننا أن نفعل مثل هذا ويقولون ليس من ورائه مصلحة.

ففي هـــذا الفهم خطر عظيم على دينهم وعلى اعتقــادهم، كيف يتقدمون بهذا بين يدي حـديث رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم الواضح الصـريح ((سـيد الشـهداء حمـزة بن عبـدالمطلب, ورجل قـائم إلى إمـام جـائر فـأمره ونهـاه فقتلـه))، فقوتنا وسـلاحنا للمحافظة على بقـــاء ديننـــا, وعلى مقاومة أي محاولة لتحريف الـدين داخلية أو نتيجة ضـغط خـارجي هي الـروح الاستشـهادية, فالجهاد وما تفرع منه هو السبيل لإحقاق الحق, ولإبطال الباطل.

فينبغي للشباب الـذين شـرح الله صـدورهم لحب الـدين, وللفـداء في سبيل الله أن لا يلتفتـوا إلى هـؤلاء المـوظفين, وأن لا يلتفتـوا إلى القاعـدين, وأن لا يلتفتـوا إلى الراكـنين, فشـتان شـتان بين علمائنا الـذين يشـار إليهم بالبنـان, ومن يشـار إليهم اليـوم نتيجة الثورة الإعلامية ونتيجة التقدم الإعلامي الهائل.

فالحكومة تنظر في العلمـــــــــاء فما رأت فيه موافقة لها ولين ومداهنـةٍ منهم سـلّطت عليه الأضـواء, فينشأ الناشـئة منذ الصغر ويسـمعون؛ "الشـيخ فلان أرسل برقية إلى الملـك", و "الملك رد إليه برقية" , ويظهر عن يمين الملك في كل يوم اثنين وغيره [35], فيقع في ذهنه أن هؤلاء أهل الخير والصلاح.

[?][34] قـال صـلى الله عليه وسـلم: (مثل القـائم على حـدود الله والواقع فيها، كمثل؛ قـوم استهموا على سـفينة فأصـاب بعضـهم أعلاها وبعضهم أسـفلها، فكـان الـذين في أسـفلها إذا اسـتقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقـالوا؛ لو أنا خرقنا في نصـيبنا خرقا ولم نـؤذ من فوقنا! فـإن يـتركوهم وما أرادوا هلكـوا جميعا وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا) [رواه البخاري].

[?][35] قال صلى الله عليه وسلم: ((سيكون بعدي أمراء، فمن دخل عليهم فصدّقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم؛ فليس مـني ولست منه وليس بوارد علي الحـوض...)) [رواه الترمـذي، وقـال: صـحيح غـريب، لا نعرفه إلا من هـذا الوجـه]، وروي عنه صلى الله عليه وسـلم: ((إذا رأيت العـالم يخالط السـلطان مخالطة كثـيرة، فـاعلم أنه لص)) [كـنز العمال].

قال أهل العلم؛ "دخول العلماء على السلاطين فيه مضارٌ ثلاث" [36]، فمن أعظم مضاره تضليل العامة, فالعامة يقولون لولا أن هذا الإمام وهذا الملك أو هذا الرئيس على خير لما دخل عليه الشيخ فلان! وهم يتجاهلون أن هذا الذي دخل على الملك هو موظفٌ ملحقٌ بالديوان الملكي أو ملحقٌ بوزارة الداخلية.

يقول الإمام أحمد رحمه الله : (من قلّة فقه الرجل أن يقلّد في دينه الرجال) [أعلام الموقعين 2/211].

فإذا انتبهنا إلى الذين يضعهم الحاكم في طريق الجهاد، وحذّرنا الناس منهم، فبإذن الله سنصل إلى طريق الجهاد الذي يُكفّ به بأس الكفار ويحق الحق [37]. فهؤلاء علماء الدولة وعلماء السلاطين ليس في فقههم؛ فقه محمد صلى الله عليه وسلم والفهم لطبيعة منهج الله سبحانه وتعالى.

فلا بد أن يستقر في أذهاننا؛ أن الالتزام بالدين بالضرورة أن يكون هناك معاداة من أهل الباطل, فكما في الحديث الصحيح في صحيح البخاري رحمه الله الحديث الذي ترويه أمنا عائشة رضي الله عنها عندما ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أمنا خديجة رضي الله عنها إلى ورقة بن نوفل فلما قص عليه ما قص

وقال محمد بن مسلمة: (الذباب على العذرة؛ أحسن من قارئ على باب هؤلاء).
قال السيوطي: (ذهب جمهور السلف وصلحاء الخلف إلى ان هذه الأحاديث والآثار جارية على إطلاقها، سواء دعوه إلى المجيء إليهم أم لا، وسواء دعوه لمصلحة دينية أم لغيرها، قال سفيان الثوري؛ "إن دعوك لتقرأ عليهم {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} فلا تأتهم") ["ما راواه الأساطين في عدم المجيء إلى السلاطين"، للسيوطي: ص58 و76].

36 [?] قال ابو الفرج ابن الجوزي: (ومن تلبيس إبليس على الفقهاء؛ مخالطتهم الأمراء والسلاطين ومداهنتهم وترك الإنكار عليهم – مع القدرة على ذلك - وربما رخصوا لهم فيما لا رخصة لهم فيه لينالوا من دنياهم عرضا، فيقع بذلك الفساد من ثلاثة أوجه؛ **الأول؛** الأمير يقول "لولا أني على صواب لأنكر علي الفقيه، وكيف لا أكون مصيبا وهو يأكل من مالي"، **والثاني؛** العامي أنه يقول "لا بأس بهذا الأمير ولا بماله ولا بأفعاله، فإن فلانا الفقيه لا يبرح عنده"، **والثالث؛** الفقيه، فإنه يفسد دينه بذلك) [تلبيس إبليس: ص118].

37 [?] قال الشيخ أيمن الظواهري: (لقد عاش الاف الشباب اسرى لهذه الاسماء الرنانة؛ ابن باز، العثيمين، وابي بكر الجزائري، يتبعونهم، او على الأقل لا يجرؤون على مخالفتهم حتى وإن عظم خطاهم وفحش انحرافهم... لقد آن للشباب المسلم أن يتحرر من تلك الأسماء الرنانة الجوفاء التي تمادت في نفاق الطواغيت حتى هان قدرها واصبحت مثارا للسخرية على ألسنة الأولياء والأعداء! وان لهذا الشباب أن يلتف حول العلماء العالمين الصادقين الذين يعانون ويبتلون في سبيل دينهم ، والذين وصفهم المولى سبحانه في قوله {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ}، وأن لهذا الشباب أن يخرج من الغيبوبة التي يعيش فيها ويدرك أن معركة الإسلام والكفر، والحق والباطل، معركة محتومة لا فرار منها، وانه إن لم يستعد لها ويعد لها عدتها فسيكون أول ضحاياها... الحق ابلج، والباطل لجلج؛ إن ابن باز وطائفته هم علماء السلطان الذين يبيعوننا لأعدائنا في مقابل راتب أو منصب، وإن غضب من غضب ورضي من رضي، إن صف الإيمان يجب قبل مواجهة صف الكفر أن يتخلص من المزيفين والمنافقين، {وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ}) [مجلة المجاهدون، العدد الحادي عشر، 3/شعبان/1415].

من بدء الوحي فقال ورقة بن نوفل: (يا ليتني كنت فيها جذعاً [38] إذ يخرجك قومك)، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((أو مخـرجيّ هم؟!))، قـال: (ماجـاء رجل قط بمثل مـاجئت به إلا عـودي) [متفق عليه][39]، هـذا هو فقه محمد صلى الله عليه وسلم فكل من التزم الإسلام حقاً لابد أن يُعادى.

وهؤلاء الأنصار رضي الله عنهم لما جاءوا في يـوم العقبة يبـايعون رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام فجاء معه العبـاس -وهو على دين قومه لم يسلم بَعد- فقـال: (يامعشر الخـزرج إنكم قد دعـوتم محمـدا فـإن كنتم أهل قـوة وجلد وبصـيرة بـالحرب واستقلال بمعاداة العرب قاطبة, فإنها سترميكم عن قوس واحـدة فاروني رأيكم وأنتم وأمركم, ولا تفرّقوا إلا عن إجماع فـإن أحسن الحديث أصدقه, صفوا لي الحرب؟ كيف تقاتلون عدوكم؟) ، فهـذا العبـاس - وهو على دين قومه كـافراً - ولكن يحتـاط لابن أخيه محمد صلى الله عليه وسلم ويفقه أن معنى "لا إله إلا الله": أن الناس والعـالم سيعادي أهلها, فعند ذلك تكلم عبد الله بن عمـرو رضي الله عنه فقال: (نحن والله أهل الحرب, وغذينا بها, وورثناها كابراً عن كـابر نـرمي بالنبل حتى تفنى, ونطـاعن بالرمـاح حتى تكسر, ثم نمشي بالسيوف نضارب بها حتى يمـوت الأعـزل منا أو من عدونا)، فقال العباس: (هل فيكم دروع)، قـالوا: (نعم ها هي)، عند ذلك تقدم البراء بن معرور رضي الله عنه، وقال: (قد سـمعنا ما قلت, وإنا والله لو كـان في أنفسـنا غـير ما ننطق به لقلنـاه, ولكنا نريد الوفـاء والصـدق, وبـذل مهج أنفسـنا دون رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم)، فهـذا هو فهم السـلف رضي الله عنهم للالتزام بالدين وبذل مهج الأنفس لله سبحانه وتعالى وفي الـدفاع عن دينه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وأيضاً مما جاء في ذلك اليوم المبارك - يـوم العقبة - عنـدما قـام الصحابة يريدون أن يبـايعوا الرسول صـلى الله عليه وسـلم فأخذ بيده أسعد بن زرارة وقال: (رويداً يا أهل يثرب إنا لم نضـرب إليه أكبـاد الإبل إلا ونحن نعلم أنه رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم وإن إخراجه اليوم مفارقة العرب كافة وقتل خياركم, وأن تعضـكم السيوف, فإما أنتم تصبرون على ذلك؛ فخذوه وأجركم على اللـه, وإما أنتم تخـافون من أنفسـكم خيفـة؛ فـذروه فهو أعـذر لكم عند الله) [رواه الإمام أحمد][40].

38[?] قال النووي: (وقوله "جذعاً"؛ يعني شابا قويا، حتى ابالغ في نصرتك) [شرح مسلم 2/203].

39[?] يقـول الشـيخ أبو محمد المقدسـي: (قليل هم أولئك الـذين يـدركون حقيقة منهج هـذا الـدين العظيم وحجم تكاليفـه، فعنـدما خلق الله الجنة والنـار وبعث جبريل ليراهما ورأى الجنة وما فيها من نعيم للوهلة الأولى قال: "والله يارب لم يسمع بها أحد قط إلا دخلهـا"! فلما أن رآها بعد ذلك قد حفت بالمكـاره، قـال: "والله يـارب خشـيت أن لا يـدخلها أحـد"! فـالطريق الـذي أراده الله أن يوصل إلى الجنة ليس مزروعا بـالورود والريـاحين كلا بل هو محفوف بالمكاره والابتلاءات والأذى والدماء، ولو كـان أحد يـدخل الجنة دون سـلوك هـذه الطريق لكـان أولى النـاس به رسل الله وأنبياؤه الذين اصطفاهم الله من خيرة خلقه، فقد أوذوا وشـوهوا وكذبوا {فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ}، وهذه الحقيقة يعرفها كل عاقل درس منهج الأنبيـاء وتاريخ الدعوات، ولـذلك فـاول كلمـات سـمعها رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم بعد أن نـبيء من ورقة بن نوفل - وكـان قد قـرأ الكتب السـابقة - كـانت: "لم يـات رجل بمثل ما جئت به إلا عودي"! فالذين يحلمون أن يكونوا من ورثة الأنبياء ثم يبحثون عن رضى الناس أو الحكومات لم يفقهوا حقيقة هـذا المنهـاج...) [مقالة بعنوان: لم يأت رجل قد بمثل ما جئت به إلا عودي، جمادى الآخرة 1423هـ]

40[?] وتتمته: (قـالوا: أمط عنا يا أسـعد! فوالله لا نـدع هـذه البيعة أبداً ولا نسلبها أبداً)، قال جابر بن عبد الله رضي الله عنـه: (فقمنا

فهذا هو فهم السلف لمعنى "لا إله إلا الله"، وما تقتضيه "لا إله إلا اللـــه" من تحكيمٍ في الأرض ومما سيضـــطر إلى المواجهة مع العدو.

وكما قال المثنى بن الحارثة لرسولنا عليه السلام يـوم أن عـرض عليهم أن يؤمنوا بلا إله إلا الله, وأن يحموه ويؤووه, فقال المثنى - كان مشركاً يومها - قال: (إن هذا أمر تكرهه الملوك).

وفي الحديث الآخر عندما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم في سـياق السـؤال عن أفضل الأعمـال حـتى في العشر من ذي الحجة فاستثنى, ووضح لهم أي الأعمال أفضـل, فهي أفضل حـتى من العمل في عشر ذي الحجة فقال عليه السلام: ((إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله، فلم يرجع بشيء)) [رواه البخاري].

فأما ما انتشر بين العلمـــاء من السـلامة على أنفســهم وعلى أبنائهم, وعلى أموالهم, وعلى وظائفهم, مع بقاء الدين, فهـذا فهم مغـاير لحقيقة "لا إله إلا اللـه" ولمعـاداة أهل الباطل لهـا، فهـذا التواؤم, وهذا التماشي بين العلمـاء والحكـام - الـذين كفـروا بالله ورسـوله - هو وضع خـاطئ ينقلب وينصـبّ في الابتـداء على أن العلماء تركـوا حقيقة "لا إله إلا اللـه", والالـتزام بحقيقة "لا إله إلا الله" ومقتضيات "لا إله إلا الله", يداهنون الحكام.

فينبغي الحذر كل الحذر من هؤلاء, لأن النظـام وضـعهم عن قصـدٍ للصد عن سبيل الله, وقد كان منذ ربع قـرن كـان الشـيخ عبد الله بن حميد عليه رحمة الله، لا يُـذكر بجـواره العلمـاء الآخـرون - بعد أن تــوفي الشــيخ محمد بن إبــراهيم عليه رحمة الله - في ورعه وفقهه وعلمه وشـدته في الحـق، ولكن النظـام لا يريد أهل الحق ولايريد أهل التقى والــورع، فما زال يضــايق الشــيخ عبد الله بن حميد وأخذ الأضواء عنه بعيداً على عدد من العلماء الآخرين الذين فيهم لين ورقة مع النظام, ونوع مداهنة, وأضف إلى ما لبّس عليه النظـام, وتركـوا الشيخ عبد الله بن حميد يضـايقوه في عمله إلى أن اسـتقال لما شـعر أن الدولة بـدأت تبتعد كثـيراً, وظهر له أن الدولة توالي الكفار, وتبتعد كثيراً عن شرع الله سبحانه وتعالى.
فكذلك الحال اليوم تسلط الأضواء الإعلامية على العلماء, الغـرض منه التدليس على المسلمين.

وفي هـذا المجـال لابـدّ من الحـديث أننا إذا عرفنا علمـاء السـوء وعلمـاء السـلاطين ينبغي البحث بجد واجتهـاد عن الصـادقين من العلماء, عن الـذين يصـدعون بـالحق ولا يخـافون لومة لائم، فـإن الله سبحانه وتعالى قال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَـعَ الصَّـادِقِينَ} [سـورة التوبة : 19]، فينبغي الالتفـاف حـولهم والتشـاور معهم في نصـرة لا إله إلا الله والعمل لتحكيم شـرع الله سـبحانه وتعالى.
والصادقون من العلماء لهم صفات, والصـادقون بيّن الله سـبحانه وتعـالى صـفاتهم في كتابه الكـريم قـال : {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُـونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِـأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِـهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّـادِقُونَ} [الحجـرات : 15] فمن أبـرز صـفات الصادقين:
1) صفة الإيمان.
2) وصفة الجهاد في سبيل الله.

وهذا المعنى نجده يتكرر، ويقترن الصدق مع الجهاد، ومع النصرة, ومع قـول الحـق, والصـدع بـه, فمن ذلك قوله سـبحانه وتعـالى: {لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُـوا مِنْ دِيَـارِهِمْ وَأَمْـوَالِهِمْ يَبْتَغُـونَ فَضْـــلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْـــوَانًا وَيَنْصُـــرُونَ اللَّهَ وَرَسُـــولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ} [سـورة الحشر : 8] الذين يهـاجرون والـذين ينصـرون الله

إليه فبايعناه، فأخذ علينا وشرط، ويعطينا على ذلك الجنة).

ورسوله ويجاهدون في سبيل الله هـؤلاء في سـبيل الله وللتمكين لدين رسول الله صلى الله عليه وسلم فهؤلاء هم الصادقون.
ومن أعظم الجهـاد كلمة الحق والصـدع بهـا، كما مضى معنا في الحــديث عن نبينا عليه الســلام : ((أفضل الجهـــاد كلمة حق عند سـلطان جـائر))، فالعلمـاء الـذين يصـدعون بـالحق؛ هـؤلاء هم الصادقون وهذه صفتهم.

أما الـذين يـرون أن الحكّـام قد والـوا الكفـار, ويـرون الحكـام قد حكموا بغـير ما أنـزل اللـه, هـؤلاء الـذين يمـدحون الطـواغيت؛ إلا يرون أبراج البنـوك الربويـة؛ الـتي هي حكم بغير ما أنـزل اللـه؟! وإعراض عن منهج الله بجوار الحرم؟! هذا الإلحـاد قـرب بيت الله الحرام, والإلحاد في الحـرم ليس المقصـود به فقط الكفـر، وإنما كما في الحـديث الـذي مر معنا -في حـديث صـحيح البخـاري- : ((أبغض الناس إلى الله ثلاثة))، قـال: ((ملحـدُ في الحـرم))، قـال أهل العلم؛ الكبـيرة في الحـرم تعتـبر إلحـاداً, وذُكـرت هنا بمعـنى إلحاد للتشنيع عليها وللتهويل عليها حتى يبتعد الناس عنها.

فأبرز صفات الصادقين؛ الجهاد باليد وباللسان, وقد يكون الإنسـان صــادقاً وهو ينكر بقلبـــه, ولكننا لا نعرفه ولا نتعـــرف عليه وإنما نتعرف على الذي ينكر بيده وبلسانه.

وهنا ينبغي أن نؤكد على شباب الصحوة ما مر معنـا؛ أن فيهم من الطاقــات ما يكفي وزيــادة لإقامة الحــق, ولإقامة دولة الإســلام, ودولة الخلافـــة, ولكن ينبغي أن يتحـــرروا ويحـــرروا عقـــولهم من التقليد الأعمى، فقد صح عن نبينا عليه السلام أنه قال: ((لا تكونوا إمعة، تقولون؛ إن أحسن الناس أحسنا، وإن ظلمـوا ظلمنـا، ولكن وطنــوا أنفســكم؛ إن أحسن النـاس أن تحسـنوا، وإن أسـاءوا فلا تظلموا)) [رواه الترمذي وحسنه].

وسـأذكر لكم قصة ذات مغـزى كبـير أن أولي الألبـاب والنهى إذا قلدوا مَن أمامهم دون أن يتدبروا, فقد يضيع منهم خـير عظيم, بل قد تضيع عليهم الآخرة - ولا حول ولا قـوة إلا بالله - فهـذا خالد بن الوليد رضي الله عنه وعمر بن العــاص، وعمــرو بن العــاص من دهاة العرب المعدودين, وخالد بن الوليد عبقري في الحروب, ومع ذلك تـأخر إسـلامهما لأكـثر من عشـرين سـنه تقريبـاً, والنـور بين يديهم، ورسول الله صـلى الله عليه وسـلم ثلاثة عشـرة سـنة بين أظهرهم في مكة ولا يرون هذا النـور مع شـدة ذكـائهم ونبـاهتهم، فماهو السبب؟!

السبب؛ التقليد الأعمى, كانوا ينظرون إلى أولئك الرجـال العظـام في قـريش -أهل النـدوة- ويقتـدون بهم, وعطلـوا عقـولهم، فلما أسلم خالد وعمرو بن العاص قبل الفتح بشـيء يسـير - أي قريبـاً من عشرين سنة منذ بعثت محمد صـلى الله عليه وسـلم - فقـال له بعض أصــدقائه: (أين كــان عقلك يا خالد ولم تر هـــذا النـــور لعشرين سنة؟)، فقال كلمة ينبغي التوقف عندها كثيراً للمقلـدين، قال: (كنا نرى أمامنا رجالاً كنّا نرى أحلامهم كالجبــال) - الوليد بن المغيرة, وعمرو بن هشام, وعتبة وشيبة إبني ربيعـة, والعـاص بن وائل السهمي, وأمية بن خلف - قـوم عبّـأوا على النـاس عقـولهم أنهم هم الذين يعرفون الصواب, وكانوا يقودونهم إلى المهلكة في الدنيا والآخرة.

فلما حرر خالد عقله نفع الله به وتفجرت طاقات, فكان سيفاً من ســيوف الله فتح الله به أرضــاً عظيمة في بلاد فــارس وفي بلاد الروم.

فأقول: كثيرٌ من الناس عندهم من الطاقات الهائلـة، ولكن يعطلها بإتباع قاعد، بإتباع من رضي بأن يكون مع الخوالف, فلا نجاة لهذه الأمة إلا بإتباع المنهج كاملاً, فكما ذكرت الخطر ملازم بصفة دائمة لهذه الدعوة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ففي هذا الحديث العظيم فقه عظيم جداً حيث إنه وضّح للناس وللمؤمنين أهمية الأولويات في هذا الدين, فرأس الأمر الإسلام ورأس أركان الإيمان والإسلام شهادة أن "لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله"، فالإيمان فيه شعب [41] فلا ينبغي بحال إذا غابت الشعبة الأولى وهي أعظمها وأفضلها وأعلاها شهادة أن "لا إله إلا الله" الاشتغال بما دونها, فهي الأساس لهذا الدين فما يفعل الناس في هذا الزمان وهم يرون بأم أعينهم أن "لا إله إلا الله" بمعناها الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم قد غيّبت عن حكم الناس في جميع شؤون حياتهم, ويشتغلون بكثير من الشعب مع غياب هذه. فهذا لا يمكن أن يسمى لمن علم بهذه الحقائق إلا هروباً عن أداء الواجب, بل عن أعظم واجب في الحياة, وهو تحكيم شهادة أن لا إله إلا الله على كل مؤمن.

ولو قعد الإنسان عن الجهاد واشتغل بإماطة الأذى عن الطريق وهي شعبة من شعب الإيمان وكان الجهاد متعيناً, فلا يقال لهذا الذي يعمل بهذه الشعبة أو بهذه الطاعة جزاه الله خيراً بل هو في ديننا فاسق من الفاسقين فارٌ فر عن نصرة لا إله إلا الله ونصرة دين محمد صلى الله عليه وسلم فينبغي الانتباه الشديد إلى هذه الأولوية, وهو كما لا يخفى، وللأسف الشديد غائبة غياباً عظيماً جداً من جميع بلاد الإسلام بدون استثناء. وأنبه الإخوة كما في حديث رسولنا صلى الله عليه وسلم عن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((إن الله تعالى قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه)) [رواه البخاري]، فالفرائض والطاعات والعبادات هي بما فرض الله سبحانه وتعالى, وترتيبها كما رتبها الله سبحانه لا بما يتوافق معنا, وبما يتوافق مع أهوائنا, وبما يتوافق مع نفوسنا وتثاقلها إلى الأرض.

فعندما تكون الأولوية الأولى بتحكيم لا إله إلا الله فلا يصح بحال الاشتغال بالطاعات الأخرى على حساب إقامة الدولة الإسلامية, وتحكيم شرع الله سبحانه وتعالى.

ومن الأشياء المهمة في هذا؛ أن العلماء الذين تبرزهم الدولة للناس هم يعلمون علم يقين أن "لا إله إلا الله" لا تحكم الناس اليوم, وأن الحكومات قد نقضوا هذه الكلمة العظيمة, ومع ذلك يدلسون على أنفسهم, ويخادعون أنفسهم, ويخادعون الناس بذكر العبادات والفتاوى للناس في مسائل مع غياب الأصل العظيم, فهم كالذي يبني على غير أساس.

فهؤلاء الذين يفتون؛ يعلمون أن هؤلاء الناس يذهبون يتحاكمون إلى المحاكم التجارية, وإلى هيئات فض المنازعات التجارية, وفض مشاكل الأطراف التجارية, وهذا حكم بغير ما أنزل الله, وهو كفرٌ أكبرٌ مخرج من الملة كما لا يخفى على أهل العلم [42]، ومع ذلك لا يتحدثون عن ذلك.

---

[41] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((الإيمان بضع وسبعون - أو بضع وستون شعبة - فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان)) [رواه مسلم].

[42] قال الشنقيطي رحمه الله: (أن الذين يتّبعون القوانين الوضعية التي شرَّعها الشيطان على ألسنة أوليائه مخالفة لما شرعه الله جل وعلا على السنة رسله صلى الله عليهم وسلم، أنه لا يشك في كفرهم وشركهم إلا من طمس الله بصيرته، وأعماه عن نور الوحي مثلهم) [أضواء البيان 4/83-84].
وقال أحمد شاكر: (إن الأمر في هذه القوانين الوضعية واضح وضوح الشمس؛ هي كفرٌ بواح، لا خفاء فيه ولا مداورة، ولا عذر لأحد ممن ينتسب للإسلام - كائناً من كان - في العمل بها أو الخضوع لها أو إقرارها، فليحذر امرؤ لنفسه، وكل امرئٍ حسيبُ نفسه) [عمدة التفسير 4/172].

الربا؛ هذه البنوك لا يمكن لعالم صـادق أن يقـول إن الربا هـذا هو مجرد كبيرة من الكبائر، فهذا الربا الذي يوجد في بلادنا هو تشريع من دون الله {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ} [سورة الشورى : 21]، ومع ذلك يحدثون الناس عن أمور أخرى - هي من شـعب الإيمـان ولاشك - ولكن بعيـداً عن أصل القضـية، فهـذه القضـية الكـبرى الـتي من أجلها بُعث الرسـل, ومن أجلها أنـزلت الكتب لكي تحكم بين النـاس, فينبغي الانتبـاه الشـديد إلى ذلك.

ومن المسائل المهمة أيضاً هنا؛ أن يبتعد الشباب عن أولئك الـذين قد ضـيّعوا الأمانة وخـانوا الأمة فيما أؤتمنـوا عليـه, وقد جـاء في الحديث عن حذيفة رضي الله عنهم قال: (حدثنا رسول الله صـلى الله عليه وسلم حديثين، رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر، حـدثنا؛ أن الأمانة نـزلت في جـذر قلـوب الرجـال ثم علمـوا من القـرآن ثم علمـوا من السـنة، وحـدثنا عن رفعها، قـال؛ ينـام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل أثر الـــوكت، ثم ينـــام النومة فتقبض، فيبقى فيها أثرها مثل أثر المجل، كجمر دحرجته على رجلك فنفط فتراه منتبرا، وليس فيه شيء) [متفق عليه].

وهذا حال كثير من النـاس تظنه على شـيء, تظن أن عنـده أمانة وسـيفتيك بما يرضي اللـه, ولكن ليس فيه شـيء، كجمر دحرجته على رجلك - وفي تكملة الحـديث، كما يقـول رضي الله عنه نقلا عن رسولنا صلى الله عليه وسلم - : ((ويصبح الناس يتبايعون، فلا يكاد أحد يؤدي الأمانة، فيقال؛ إن في بـني فلان رجلا أمينا! ويقـال للرجل؛ ما أعقله! وما أظرفه! وما أجلـــده! وما في قلبه مثقـــال حبة خردل من إيمان)).

فينبغي التمييز بين أهل الأمانة الذين يؤدّون ما احتملوا من ميراث النبـوة على نبينا عليه أفضل الصـلاة والسـلام، وبين الـذين اتخـذوا الشهادات العلميّة وأخذوا الدين للوظائف يأكلون به من هذه الدنيا على حساب دينهم - ولا حول ولا قوة إلا بالله -

فخلاصة الأمر في هذا الباب؛أن هناك ثوابت عظام لابد من الانتباه إليها في مسألة الولاء والبراء؛ أن الأنظمة تسعى جهدها في تمييع الولاء والبراء ولمغالطة الناس في ذلك.

فمن الثـوابت؛ أن اليهـود والنصـارى لن يرضـوا عنا كما ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم فقال: {وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ} [سورة البقرة : 120].

ومن الثوابت الواقعية أيضـاً؛ أن البلاد محتلـة, وإذا احتلت فـأوجب الواجبـات - بعد الإيمـان - دفع العـدو الصـائل, فهـذه تصـريحاتهم المتكررة, وهذا الواقع الـذي يشـهد على حـالهم, فقد قـال الأمـير طلال بن عبد العزيز في لقـاء له مع بعض الهيئـات العالمية قـال: (نحن لو قلنا للقـــوات الأمريكية أن اخـــرجي من بلادنـــا، هم لا يخرجون), وهذه صراحة واضحة جداً.
وكـذلك وزير خارجية قطر قـال: (نحن لو قلنا للحكومة الأمريكية وللقـوات الأمريكية اخـرجي من قطـر، قـال: نحن نشـطب من الخريطة), فالبلاد محتلة بكل ما تعـني الكلمة من معـنى، ومـازال النـاس يشـتغلون بعبـادات ونوافل وطاعـات بعيـدة عن فـرض الساعة!

فينبغي التركيز على:
1) أن المخرج هو بالجهاد في سبيل الله.
2) والحذر من القاعدين.
3) وعلى أن الهجـرة والجهـاد في سـبيل الله كلاهما متلازم - في مثل هذه الأوضاع - لإقامة الحق وإبطال الباطل.

والله أعلم [43]



---

[43] [?] إلى هنا انتهت محاضرة الشيخ المجاهد "أسامة بن لادن" حفظه الله وجعله غصة في حلوق الكافرين، مع التنبيه أن النقل تم بشكل حرفي عن شريط صوتي للشيخ مع تصرفات يسيرة اقتضى لها المقام، ولا يفوتنا أن نسأل الله عز وجل أن يجزل الأجر والثواب لمن قام بتفريغ هذه المحاضرة، علما أن النص الصوتي لهذه المحاضرة بصوت الشيخ أسامة بن لادن معروض في قسم الصوتيات في "منبر التوحيد والجهاد".